

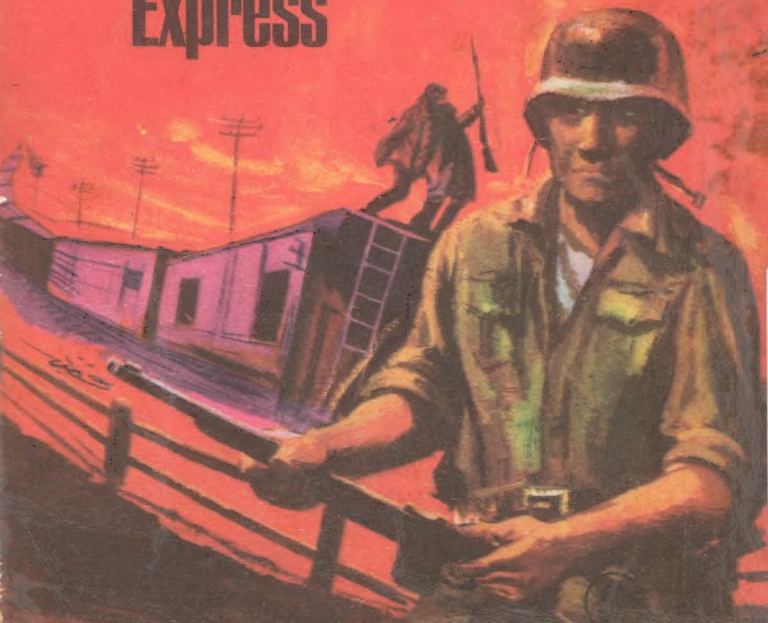
عالمية



روايات

القطار السريع

Don Ryan's
Express



روايات عالمية

العدد رقم ٣٤٣

القطار السريع

تأليف دافيد وستيمر

ترجمة فريجة برارة

الفصل الاول

كان الحارس الإيطالي ، يجلس في استرخاء في ظل حائط السجن : مسندا بندقيته الصغيرة بالقرب منه ، حينما جىء بالأسير الجديد . ولم يهتم بالأمر كثيرا فقد رأى من قبل مئات من الأسرى الأمريكيين والانجليز يدخلون معسكر الاعتقال ٢٠٢ . وعرف الحارس ان هذا الأسير الجديد امريكي ، فحذاؤه من النوع الجيد .

واقترب الأسير الأمريكي من الحارس وحده بلفة لم يفهم منها شيئا الا أن نبرة الغضب في حديثه كانت واضحة .

— الاتقف لتحية رؤسائك ، قف وامسك بندقيتك ، قف .

وبدا للملازم الإيطالي المرافق للضابط الأمريكي يشرح الامر .

— اذن اشرح له .

وبعد شرح موجز قام الحارس الإيطالي ووقف معتدلا وحيسا

الأسير الأمريكي .

الا ان الكولونيل الأسير لم يكتف بذلك بل قال :

— اوتنى سلاحك . . انه فظيع . اتنى طبعاً لا اريد أن أساعدكم

على كسب الحرب ولكننى لا اريد أن يقتل احد جودنا بسلاح فاسد .
غير نظيف .

ثم التفت الى الملازم وقال :

— اساله متى حلق ذقنه آخر مرة .

كان الكولونيل يتحدث دون أن يرفع عينيه عن الجارس . وبدأ
الملازم يسأل الجارس . والجارس يجيبه محتقاً ثم يرد الملازم غاضباً
فيثور الجارس وتشتد المناقشة .

وفجأة صاح الكولونيل « كفى » .

وتوقف الاثنان كما لو كانا في انتظار أوامره . ولكنه قال بلهجة
تهكمية :

— ان سبب هزيمتكم في الحرب واضح . فالملازم لا ينافس
الجندي بل يأمره .

وفى ارتباك ظاهر قال الملازم وقد احمر وجهه :

— هذا صحيح ولكن هؤلاء الجارس انهم . . .

كان الملازم شاباً لا يتجاوز الثانية والعشرين من عمره ذا شعر
أسود مجعد ودون أن يلتفت الكولونيل الى الملازم أو الجارس .
مرفوع الرأس ومر من منطقة الأسلاك الشائكة المحيطة بالمعتقل ثم
عبر باب المدرج الى الفناء الداخلى حيث تجمع بعض الأسرى .

كان الكولونيل طويلاً قوى البنية ذا شعر قصير اشقر وقد
خط المشيب سوافه . يمشى فى رشاقة شاب . وتوحى عينته
عن قرب بهيبة تجاوزت سنه الست والثلاثين . وحول رأسه وصحت
ضمادة فلدة ينضح الدم من إحدى جوانبها اما بذلته العسكرية فقد
كانت رغم قدمها وقذارتها محتفظة بنسر الكولونيل اللامع على
ركتفها شيازة الطيران نظيفة على صدرها .

حين ظهر الكولونيل صاح أحد الأسرى « لحم طازج » وسرعان
ما تجمعهم كثير من الأسرى الذين كانوا يقفون كسالى أو يبطسون فى
خمول فى الشمس أو يقومون بأعمال أخرى تافهة .

كان الأسير الذى دعا باقى الأسرى خفيفاً بارز الضلوع حاقى
القدمين أعور . وكان الشيء الوحيد الذى يرتديه هو بنطلون قصير
كالح يسقط عن خصره . ولم يكن يميزه عن باقى الأسرى سوى



عوار عينيه فقد كانوا جميعاً تحفاه رثي الثياب شعورهم مشتعلة
طويلة وللكتيرين منهم لحى وشوارب كثيفة .

التفت الأسرى حول الكولونيل يحيونه ويمطرونه بأسللتهم .
هل فرنا بمسينا ؟ .

هل نزلت قواتنا فى الشمال ؟ .

أين أسرت ؟ .

أن الحال هنا لن يعجبك ؟ .

وبدا الملازم الايطالى حديثه :

— لقد جئنا لكم بزميل جديد .

ورد أحد الأسرى :

— آه انك ملازم طيب يا بوبى من المؤكد أننا سنمحو اسمك
من قائمة أعدائنا الذين يجب قتلهم حينما نحتل نحن هذه المنطقة .
وجاء رجل استرالى ذو شارب أسود كبير وعينان زرقاوان
وقال :

— هيا انفضوا من هنا . ثم وجه حديثه للقادم الجديد . « أنا
الكابتن أريك فينشام من الجيش الملكى البريطانى وقائد الأسرى
فى هذا المعتقل مرحبا بك فى المعسكر ٢٠٢ الملعون » .

— أما أنا فكولونيل طائر « ثم وجه حديثه الى الجميع » أنا
الكابتن جوزيف ريان ومن الآن فصاعدا ساكون أنا رئيسكم .
— ريان ذو الرأس المتحجرة .

كان هذا تعليق أحد الأسرى ويدعى بون بوشتيك ولكن ريان
تجاهله وبعد أن انسحب الملازم المرافق وجه ريان حديثه الى الأسرى
فقال :

— هيا تفرقوا وابقوا فى الداخل الى حين صدور أوامر أخرى .
هيا .

ونظر إليه الأسرى فى دهشة .

- هيا .. لقد أصدرت اليكم أمرا .. هيا ..
ولم يجد الأسرى مناصا من طاعته .. واتجه ريان الى الأسير
الذى استقبله اول الامر .. وقال له :

- ارفع بنطولك .. ما أسمك ؟ ..

- فراتكير اورد .. ملازم ثان ..

- والتفت ريان الى فينشام :

- لماذا لم يمرض هذا الرجل ؟ ..

- أجاب فينشام غامضا :

- اقترح ان تسال المتكولونيل يتجاليا فى ذلك ..

- اين نستطيع ان نتحدث على انفراد ؟ ..

- فى حجرتى ..

- اذن هيا بنا ..

وقاده فينشام عبر الفناء الى بناء يرتفع طابقين ذى شرفات
حديدية نشرت عليها ملابس وجوارب وأشياء أخرى بدت كخلفات
جيتسى مهزوم .. كانت تحيط بالمبنى أرض حمراء تنبت فيها زهرة
أو اثنتان ونصف السهل ..

ونساءل ريان :

- أهذه حديقة ؟ ..

- فرد فينشام ..

- كلا فهذا العلمى الأحمر هو ما نستخرجه من النفق وعلينا
ان نتخلص منه بطريقة ما ..

- الى اين وصلتم ؟ ..

- ان هذا النفق جديد وكان القديم على وشك الوصول خارج
الستور حينما اكتشفه الايطاليون ..

تبع ريان فينشام حتى وصلا الى حجرة رطبة مظلمة ذات جدران بنية اللون . كانت الحجرة واسعة عالية السقف ومن تم كانت تغطي احساسا بالفراغ والوحشة . كل ما بها من اثاث هو سرير وكرسی من الخشب الغير مطلى وعدة صفايح مسفرة . وحبل صغير يمتد عبر الغرفة نشرت عليه فوطة قلرة وجوربان وبعض الملابس الداخلية .

قال فينشام مبتسما :

— حجرتي المتواضعة .

ونظر اليه ريان دون ابتسام وقال :

— متى نظفت هذه الحجرة لآخر مرة ؟

— اعتقد أنها نظفت في يونيه أو مايو ، لا أدري . . . اجلس

ياسيدي .

ولم يجلس ريان بل ظل واقفا ومز بيمده يمينه ثم قال :

— اعتقد أنني في حاجة الى ان أحلق ذقتي .

— سيدى ان ذلك متعذر فلا توجد أمواس للحلاقة ، على كل

حال استطيع ان أشحد لك واحدا قديما .

— لا داعى لذلك .

وهم فينشام باعطاء فرشاة الحلاقة للكلونيل ريان فسقطت

على الأرض ، وانحنى الكلونيل لالتقاطها ولكنه كاد يسقط من

الاعياء . لولا ان أمسك فينشام به وأسرع الى باب الحجرة ونادى

بأعلى صوته « بونزام . . الى سريعا » .

وسرعان ما دخل الحجرة رجل عربض المنكبين ذو شعر احمر

مجمع وشارب احمر يصل الى وحنثيه . . يمد يده الى ريان

مصافحاً .

وقال له فينشام « الى الكابتن شتاين » .

وتسائل ريان « من هو الكابتن شتاين » .

— إنه الطبيب .

- ولكننى الآن على ما يرام . هل لديك مرآة لكى أحلق ذقنى .
وأجاب فينشام :

- نعم ولكن يجب أن تحلق فى الخارج فالأنوار لا تضاء إلا ليلا . وحين تضاء يكون بكمية ضئيلة جدا . هيا بنا الى الخارج .
كان ريان قد أكمل حلق إحدى وجنتيه وبدأ فى الأخرى حينما عاد بنوزام ومعه الكابتن شتاين .

كان شتاين رجلا متوسط الطول ذا عينين يقطتين بنيتين .
وشعر وشارب بنى . يرتدى ملابس نظيفة ونظر اليه ريان راضيا .
وبادره شتاين بالحديث :

- سيلى دمنى أرى جرح رأسك .
وجلس ريان يكمل حلق ذقنه بينما كان شتاين يرفع الضمادة
ولم يظهر ريان أى ألم حينما نزع الطبيب قطعة القطن الملتصقة
بالبجرح .

وأخيرا قال له شتاين :

- أه انه سيء للغاية . هل أنت مطعم ضد التيتانوس .

- نعم وضد الكوليرا والجدرى وكل الأمراض الأخرى .

- حسنا لقد سألتك لمجرد حب الاستطلاع فأنا لا أحمل أية
أمصال على أى حال سأذهب وأحاول فك أسر أدواتي .

وبعد انصرافه تساءل ريان :

- ماذا يعنى بفك أسر أدواته .

وأجاب فينشام :

- ان الإيطاليين يحتفظون بآلاته ومعاداته ولا يعطونها له

إلا حينما يكون فى حاجة لعيادة مريض .

- وهل هو دائما نظيف هكذا أم كان هذا مجرد مجاملة لى .

- فى الحقيقة يكون نظيفا هكذا كلما زار أحد المرضى حتى

ولو كان نفرا .

— انه على أية حال أنظف من أى شخص رأيته هنا فلماذا لا يكون الجميع مثله ؟ •

واحد فينشام :

— فيم هذه العجرفة ؟ •

— كابتن اننا لن نختلف هنا فى الخارج امام كل الأسرى هيا بنا الى الداخل •

وتغيرت لهجة ريان فى الداخل فقال :

— ان هذا اسوأ معسكر رأيته فى حياتى وليس لكم أى علم فأنتم لستم جهلة انتم ضباط •

ورد فينشام : نعم ضباط ولسنا عبيدا •

— ستصبحون كذلك بعد فترة وجيزة ان هذا المعسكر مخجل حقا • فهو قدر غير مرتب تسوده القوضى والتصرفات الصبيانية •

— انتصت الى جيدها انك لا تدري من أمور الحرب شيئا فانت تريد أن تأكل وتلبس هنا كما تفعل فى أمريكا • الأمر الذى لا يمكن تحقيقه • ولكنك سرعان ما ستتعرف حقيقة الأمور اذا فسرت واستعملت رأسك • هذا اذا لم يتهشم قبل ذلك •

وأجابه ريان فى غاية الهدوء :

— هل هى عادة الضباط فى الجيش البريطانى ألا يحترموا رؤسائهم • هل نسيت اننى الرئيس هنا ؟ •

— هذا من سوء حظنا •

وقبل أن يرد عليه ريان دخل الكابتن شتاين وقال :

— أخيرا استطعت الحصول على أدواتى ، لو سمحت هيا بنا الى الخارج حيث أستطيع القيام بعملى •

جلس ريان فى الخارج وبدأ شتاين يمارس عمله أمام مئذنة من الأسرى الذين تجمعوا يروا القادم الجديد •

وقال شتاين :

- انك ستتألم بعض الشيء فاني سأخيط لك عدة غرز .
وضحك ريان :

- ماذا ؟ هل ستقوم بجراحة في المخ ؟

- ورد شتاين مرحا : لقد كان هذا دائما حلم أمي « ابني جراح
في المخ » ولكن يبدو ان حلمها لم يتحقق فقد أصبحت طبيبا مولدا
... لفتت كدت أنتهى من مهمتى ، انه لشيء مؤسف حقا انك
لا تستطيع رؤية رأسك وما فعلته بها .

- شكرا يا سيدى لقد كان حلقى أقل منك لقوا .

وابتسم شتاين « ستؤلمك قليلا ولكنها لن تقضى عليك . المهم
ألا تعرضها للشمس أو الماء . وتحافظ على نظافتها (وضحك
شتاين) ولا تمارس رياضيات عنيفة كالسباحة أو الملاكمة .

حمل شتاين أدواته ورحل ودخل ريان حجرة فينشام
وقال له :

- والآن أريد منك بعض التفسيرات .

الفصل الثانى

جلس ريان وبدأ يوجه الأسئلة : أولا لماذا سمحت لنفسك بالتفاضى عن النظام كلية هكذا ؟

- انك لن تفهم .

ورد ريان : لم لا تحاول ، قد تجدني متفاهما .

- حسنا : أولا هناك حرب والايطاليون اعداؤنا بلا شك ، انهم يضايقوننا ونحاول نحن أن نضايقهم أكثر . اننا لو تعاوننا معهم لاستطعنا ان نحصل على كل ما نريد من طعام وملابس . هذا الى جانب الماء اللازم للنظافة والاضاعة الكافية . ولكننا لا نريد ونفضل عدم التعاون . والآن هل فهمت أم انك تفضل ملابس السهرة وحفلات العشاء ؟

واجاب ريان بهدوء تام :

- فينشام الا تدرك ان هناك مستوى معين للضباط يجب المحافظة عليه مهما كانت الظروف .

- انك لا تستطيع ان تدرك اننا فى حرب ولسنا فى مباراة لكرة القدم .

- اعرف ذلك تماما فرأى لم يصب فى احدى المباريات . ولكن هذا ليس وقت النقاش . انا لا أستطيع أن أدرك كيف تصبح القذارة والفوضى ذليلا على انتصارنا على الايطاليين . ثم أخبرني كم عند محاولات الهرب التي قمت بها تبعا لسياستك .

- ولا واحدة ولكن ... وبدأ فينشام يحدت .

- انى لا احاول مناقشة الخطط الحربية معك • انى اصستق
الأوامر وعليكم جميعا طاعتها • والآن هيا بنا فى المعسكر نرى
الى أى مدى سمعت الأمور •

حينما خرج ريان الى الفناء استقبلته أصوات الأسرى الصاخبة •
كانوا جميعا يعترضون على بقائهم فى الداخل •

وبدا ريان تجواله فرأى أحد الضباط الايطاليين وتساءل :

- من هذا ؟

أجاب فينشام :

- انه الميجور أورباني وهو مساعد المشرف الحقيقى للمعسكر

الكولونيل بتجاليا ••• انه خنزير حقير •

وقف ريان فى وسط الفناء وعقد يديه خلف ظهره وألقى نظره
حوله ، كانت المباني على شكل حدوة حصان وترتفع طابقين ونظيفة
من أعلى قذرة متسخة حيث تصلها أيدي الأسرى وأرجلهم •
أما أرض الفناء نفسه فقد كانت قاحلة لا أثر فيها لزراع باهتة اللون
فيما عدا بعض الحصى الأصفر • وحول هذا الفناء سور خشبى
مزدوج وأسلاك شائكة ترتفع سبعة أقدام • وفى أحد جوانب الفناء
مبنى صغير للحراس وعلى الجانب المقابل مبنى صغير آخر هو
السجن الانفرادى ويطلقون عليه الثلاجة ، ويحيط بكل هذه
المجموعة سور عال من الطوب وفى كل ركن منه كان يوجد كشك
حراسة خشبى يقف فيه حارس ايطالى ينظر الى داخل المعسكر
بلا اكتراث •

وقال ريان :

- والآن أريد شرحا موجزا عن المكان هنا •

وتفريت طريقة فينشام فى الحديث وأصبح مجرد جندى يذلى
بيانات عسكرية وقد قام بذلك على خير وجه فقال :

- الكولونيل بتجاليا هو المشرف على المعسكر ولكنه لا يتصل
اتصلا مباشرا بالأسرى بل يقوم بذلك الميجور أورباني ، أما الملازم

فلان ، الذى اصطحب ريان الى المعسكر فهو المسئول عن الأسرى
الامريكيين والكابتن اليكسندر مسئول عن الأسرى البريطانيين .
وهناك ضباط آخرون ولكنهم نادرا ما يظهرون للأسرى .

واختتم فينشام حديثه قائلا :

— بتجاليا متعجرف قاس ، وأوريانى حقير ، وفلافي مسالم
ساذج واليكسندر مجنون .

وبدأت جولة ريان وفينشام فى المعسكر .

واستمر فينشام فى تقديم تقرير عن الحال فى المعسكر ٢٠٢

فقال :

كان هذا الحائط يكفى لمتعنا من الخروج ولكن كثيرين منا
حاولوا عبوره ونظرا لأن الحراس لا يجيدون التصويب فقد رأى
بتجاليا اقامة هذه الأسلاك الشائكة المرتفعة .

كان عدد الضباط الأسرى فى المعسكر ٩١١ منهم ٦٠٢ من
البريطانيين و ٣٠٩ أمريكيين بالإضافة الى ٥٣ جنديا بريطانيا
يقومون بأعمال الخدمة فى المطبخ . أما عن نظام الأكل فقد شرح
فينشام الموقف بوضوح .

بالإضافة الى علب الطعام التى يرسلها الصليب الأحمر فان
الأسرى يتناولون بعض الطعام الذى تقدمه لهم السلطات الإيطالية
والذى يطهى فى مطابخ المعسكر والحقيقة ان الضباط كانوا يحصلون
على علبة واحدة أسبوعيا لكل اثنين من الأسرى . رغم ان القاعدة
ان يكون لكل أسير علبته . ولكن بتجاليا احتج على تنفيذ ذلك
بأن ليس لديه ما يكفى من الجنود للإشراف على تسليم ألف علبة
وتوزيعها كل أسبوع . واعتقد ان السبب الرئيسى لذلك هو اننى
رشوت أحد الحراس مرة فأعطيته علبتى مقابل سلاحه . ولكن
الحقير أبلغ الأمر للسلطات ومن ثم فان احتجاج بتجاليا ليس سوى
وسيلة لعقابنا .

وسأله ريان :

• وما فائدة بندقية واحدة بين ألف أسير ؟ • ثم نظر الى حيث
يقيم الجنود الأسرى • كانت الفوضى والقذارة تنفثى بشكل فظيع •
وقال ريان غاضبا • كيف تسمح لجنودك بالحياة هكذا ؟ •
• سيدي انهم احسن حالا من الضباط على الاقل يمكنهم
طعاما مقابل خدماتهم •

واتجه ريان الى الجناح الاوسط الذي كان يحتوي على حجرتين
تستعملان كمستشفى بدائي صغير حيث وجدت اربعة أسرة نحاسية
يرقد على أحدها جندي أصيب بالحصية وعلى سرير آخر رقد
مريض ينضح العرق من جسده ويتقلص عضلاته من شدة الألم
أما السريران الآخرين فقد كانا شاغرين •
وسأل ريان فينشام :

• ما اسم هذا المريض وهم يشكو ؟ •
• اسمه كارتر وهو أمريكي ويقول شتاتين انه يشكو من حموة
في الكلى •

واقترع ريان من المريض وقال :

• تجلد ... أنا الكولونيل ريان الرئيس الجديد هنا وسأبدل
قصارى جهدي لاسعافك وعلاجك •

وخرج ريان من حجرة المريض وطلب من أخيه المرضيتين
الإيطاليتين استدعاء الدكتور شتاتين ثم أكبل جولته في المعسكر
الى أن وصل الى غبر مطلق •
• ما هذا ؟ •

• الحمامات • لقد ادعى بتجاليا انه ليس هناك ماء أو وقود
يكفي لكي نستعملها وذلك في صبيحة اليوم الذي اكتشف فيه
النفق الأول الذي حفرناه من هناك • ومن ثم فاننا لم نستحم منذ
ذلك الحين الا مرة واحدة قبل أن يزورنا الملاك الحارس •
• الملاك الحارس ؟ •

- نعم ، فكل ثلاثة أشهر يحضر لزيارتنا أحد السويسريين ليتفقد الأحوال هنا ويرى ان كان الايطاليون يطبقون نصوص ميثاق جنيف أم لا ؟

- ان منظر المكان يوحي بأنه لا يقوم بواجبه .
- آه انه يفعل ذلك ولكننا نحاول قسدا الامكان ان نسيء الى الايطاليين .

واكمل فينشام حديثه مفاخرا :
- ألم تسمع ما قيل عن هذا المعسكر في مجلس العموم ؟
انه اسوأ معسكر للضباط في العالم .
ورد ريان : لا اعتقد ان الايطاليين مسئولون عن ذلك كلية .
على أية حال أنا أريد أن أرى نسختك من ميثاق جنيف .
- نسختي أنا ؟ اننى لم أر هذا الميثاق قط .

ولم يطلق ريان على ذلك بل كتب عدة ملحوظات في مذكرته وواصل فحصه للمكان حتى وصل الى المطبخ وهو حجرة واسعة قدرة بها ثخن كبير اسود وثلاث حلات كيناز . كان يعمل في المطبخ عدة رجال بملابسهم الداخلية ونادى فينشام على اخذهم وقال له :
- روجر لقد انضم الكولونيل ريان الى جوقتنا المرحلة فلا تنس ان تضيف له طيقا .

ثم وجه حديثه الى ريان :
- كان روجر يمتلك مطعما في شارع سيفي قبل الحرب .
ولم يمتسك ريان بل قال :
- ان هذا المكان قدر للغاية ويجب أن نجد حلا لذلك . وحينئذ ودخل دكتور شتاين وقال :

- سيدي هل استدعيتني ؟
- نعم ، هل حالة كارتر سيئة ؟
- لا أستطيع أن أجزم دون إجراء كشف بالأشعة .
- سيدي الدكتور عليك أن تقيم الدنيا وتتعدها مع الم

هنا حتى يعطوك ما يلزم لعلاجه أو يأمرؤا بنقله الى مستشفى حقيقى ٥
- ولكن يا سيادة الكولونيل اثاره المنازعات ليست من طبيعة
الاطباء وأنا ...

- اذن تعلم اثاره المنازعات .
- خرج شتاين ووجه ريان حديثه الى الطباخ :
- ما هذا الذى تطهوه ؟
- حساء القرع .
- اننى لم اسمع ان القرع يعمل حساء ٥
- هذه هى الاوامر هنا .
- وذاق ريان الشوربة وقال :
- انها تحتاج الى بعض الملح .
- سيدى اننا لا نحصل على الملح هنا ببساطة .
- وهل تقدم هذه الشوربة مع العشاء ؟
- سيدى انها هى الغذاء .
- ودون ريان بعض الملحوظات ثم اتجه مع فينشسام الى عنابر
نوم الضباط وعلى الباب توقف ريان وقال :
- يا الهى كيف يستطيعون تحمل هذه الرائحة الكريهة ؟
- سيدى هل كنت تتوقع رؤية حجرات نوم حقيقية ؟
- كان العنبر طويلا ضيقا تصطف فيه الأسرة المزدوجة على
الناحيتين ونوافذه عالية ضيقة ولكنه كان يعج بالحياة والضجيج
وأصوات الضباط المختلفة التى اخذت تتضاءل حتى خمدت كلية بعد
دخول ريان الذى نظر غاضبا وقال :
- حينما آتى هنا المرة القادمة انتظر من أول من يرانى منكم
أن يهتف « انتباه » وعليكم أن تظلوا كذلك حتى أصدر اليكم
أوامر اخرى .
- والتقت عينا ريان بعيني ذلك الضابط الذى تعرف عليه من
قيل فسناله :
- هل تدعى بون بومستيك ؟

وأجاب الرجل الضخم بالهجة لم يحاول أن يخفى لحة الضخيم
فيهما :

- نعم •

- لو انني سمحتك في تلك المباراة لما كنت هنا أيها الملازم •

- نعم يا سيدي ••• وأنا الآن كابتن •

- آسف ••• وأهنتك •

وعلى الباب التفت ريان الى الأسرى وقال مبتسما :

- سادتي تستطيعون الآن الاستمرار فيما كنتم تفعلون •

وحتى يكمل جولته اتجه الى منطقة الفسيل حيث اصطفت
عدة أحواض وتساءل :

- هل تفتسلون هنا •؟

ورد فينشام :

- نعم نحصل على الماء ساعتين في الصباح وساعة في الظهر

وساعة في المساء • فأورياني يدعى قلة الماء •

ولم يعلق ريان بل دون عدة ملحوظات أخرى في دفتره وفي
هذه اللحظة سمع صوت نقيز حاد وتدفق الأسرى خارج عسايرهم
وملابسهم الرثة القذرة •

وشرح فينشام :

- طابور المساء ••• الى اللقاء يا كولونيل سارك فيما بعد •

وقف الأسرى في صفوف متعرجة غير منتظمة • ودخل الميجور

أورياني والكابتن اليكسندر والملازم فلافي يتبعهم عدة جنود ونظر
ريان الى أورياني الذي جابه نظره بنظرة تحد سافر •

وقال ريان :

- ميجور أورياني الا تحيي من هم أكبر منك رتبة •؟

وابتسم أورياني ابتسامة رياء وقال :

- حسنا •

كان أورياني يتحدث حديث الواصل من نفسه كان أطول من
ريان يلبس ملابس عسكرية نظيفة للغاية وحذاءه يلمع وشاراته
براقة .

وأكمل أورياني حديثه :

— ساعدوك ميچور ويعمل ليديك على مكانك في الطابور .

وجاء شباب حديث السن يبدو عليه الارتباك .

وقطع عليه ريان جبرته فقال :

— أين مكانى ؟

— اننا نقف هنا حسب عنابرنا وهناك مكان خال في العنبر .

«ب» وأعتقد أنك ستوضع فيه ومن ثم تقف في الطابور الثاني .

— وأين تقيم أنت ؟

— في حجرة منفصلة مثل كابتن فينشام .

— سيدى من الآن ستصبح هذه حجرتى أما أنت فيمكنك

الانتقال الى المكان الخالى في العنبر «ب» .

واذ ذاك تقدم الكابتن اليكسندر وأصدر أمرا فاتحه اثنان من

الجنود الى كل جانب وأحاطوا بالأسرى .

وبدا فلافى يعد الأسرى الأمريكيين واليكسندر يعد الأسرى

البريطانيين وحين انتهوا من مهمتهم سجلوا عدد الأسرى في مذكرات

صغيرة أعطوها لأورياني الذى نظر اليها ثم أعطى سجل فلافى

له وأشار اليه منفا . وبدأ فلافى يعد مرة أخرى ثم أعطى سجله

لأورياني . وأخيرا أصدر أورياني أوامره بلفة ايطالية سريعة .

وساد الهرج وبدأ فلافى يعد مرة أخرى بسرعة .

وسأل أحد الأسرى الملازم فلافى :

— ما الخبر يا يوبى ؟

— هناك أسير مفقود .

وانتقلت المهمات بين الأسرى .

وأخيرا صرخ أورد :

- انظروا هناك الدكتور شتاين *

وقنفس فلاني الصعداء كان أورد أول من يلاحظ الامور رغم
كونه أعور *

كان شتاين يرافق اثنين من المرضى يحملان نقالة عليها
كارتير الى خارج المستشفى ثم عاد شتاين وهو يرفع يديه بالتحية
كما لو كان مصارعا قد فاز في جولة هامة * وأخذ يتلقى التهاني
من حوله حتى وصل الى مكانه بين الصفوف *

واخير ساد السكون وبدأ أورياني :
- سادتي .. نستطيع الآن ان نستأنف عملنا *

عم الهدوء وساد السكون وتوجه الأسرى الى عنابرهم وحي
لريان ببعض الحاجيات التي ترسلها هيئة الصليب الأحمر للأسرى
منها مخدة وبطانية وملعقة وشوكة وبعض اللبن المجفف والسكر
ومشط وصابون *

وخلع ريان ملابسه وحذاه وتخصس جرحه ثم تنهد واستلقى
على سريريه وسرح فكره في زوجته وأولاده الثلاثة ومتى تصلهم
انباء أسرهم وتأثيرها عليهم ولكنه لم يسترسل فقد شغل بأمور
أخرى * فهو الآن مسئول عن حوالي ألف رجل وبدأ يسترجع
النقاط التي دونها في مفكرته * ثم بعد ذلك استغرق في نوم عميق *

الفصل الثالث

استيقظ ريان في صبيحة اليوم التالي على أصوات مختلطة بخارج حجرته وحين حاول النهوض حاجته الآلام في كل جسمه . واجتاحت مشكلات اليوم الجديد ذهنه فأصبح غير قادر على الحركة . وأخيرا استطاع النهوض وذهب الى مكان الاغتسال واصطف مع الآخرين . ورغم الهرج والصفخ الذي ساد المكان أحبط ريان بهالة من السكون . فاغتسل وعاد الى حجرته دون تبادل أى كلمة مع أى شخص .

بعد فترة قصيرة صاح أحد الرجال :

— الافطار ..

أخذ ريان ملعقته وشوكة وبعض العلب المحفوظة واتجه مع غيره الى صالة الأكل كان كل الأسرى يحملون ملاعقهم وشووكهم وأشياءهم مثله ولكن أحدا لم يهتم بأخبار ريان باحضار كوبه ليشرب فيه الشاي .

بعد الافطار اصطف طوابير الصباح ولكن احساس الأسرى بوجود ريان جعلهم يقفون في صفوف شبه منتظمة . وقد تم عدهم بأسرع مما تم في المساء السابق .

بعد الانتهاء من هذه المهمة سرح الأسرى وانسحب الضباط المشرفون واقترب ريان من فينشام وقال له :

— هيا بنا نتجول قليلا فأنا أريد أن أتحدث اليك في امور

عامّة » ونظر الى المذكرة التى يحملها » وانتظر منك تعاوننا كاملا .
— سيدى أنا رهن اشارتك .

— حسنا ان أول شيء سنفعله هو أن ننظف الرجال والمكان .
تلك «الجرادل» الملقاة هنا أريدكم أن يستعملوها وينظفوها عنابرهم
الأبواب والنوافذ والحوائط والأرض ، وأريد قص شعور كل
الرجال وسأحاول أيجاد أمواس حلاقة لهم ليحلقوا كل يومين .
ثم هناك شيء آخر أريد أن يرتدى الرجال ملابس نظيفة أثناء الصلاة
وأثناء طابورى الصباح والمساء .

— ان ذلك أمر صعب التنفيذ فليس لدى كثير من الأسرى
ملابس لائقة .

— ولم لا ان السلطات الايطالية ملزمة بايجاد ملابس ملائمة
للأسرى .

— سيدى ان الصليب الأحمر يرسل ملابس عسكرية وأحذية
للأسرى البريطانيين والأمريكيين ولكن أوريانى الملعون لا يريد
اعطاها لنا ويدعى اننا سوف نصبغها ونهرب بها .

— حسنا سأحاول أنا تدبير هذا الأمر . والآن أريد منك اعطائى
أسماء أكبر عشرة ضباط أمريكيين وأكبر عشرة ضباط بريطانيين .
ثم اطلب من الرجال التجمع فى الخارج وحين تفعل ذلك استدعنى
من حجرتى .

بعد فترة ليست بالقصيرة استدعى فينشام ريان . الذى توجه
الى وسط الجموع وهو يحمل كرسيه . ثم وضعه على الأرض
ووقف عليه وانتظر الى أن خفتت المهمات ثم سكنت كلية
وبدا حديثه :

— سادتى من الآن فصاعدا ستتم بعض التغيرات فى المعسكر
٢٠٢ وأنا على يقين من انكم ستتقبلون هذه التغيرات وتقومون بها
على الوجه الأكمل .

وسادت المهمات من جديد . . وأكمل ريان حديثه :

- تقبل هذه التغيرات لا يهمنى ولكن ما يهمنى حقاً هو حسن القيام بها .. والآن الرجاء تنفيذ الأوامر التالية :

أولاً - سيخلق الجميع ردوسهم أنا طبعاً لا أتوقع أن يتم ذلك بمهارة ولكن أريد شعوراً قصيرة .

وصاح أحد للرجال وكان أصلع :

يا سيدي ؟

ولمعت صلعته في ضوء الشمس وانتظر ريان حتى كف الأثر من الضحك .

ثانياً - حينئذ يبدأ فيعاد الاشغال مستقومون بإخراج كل شيء من شتايركم ثم تنظيفها تنظيفاً جيداً .

ثالثاً - لا أريد تضييع الوقت في الأحاديث التافهة أو النكات .
رابعاً - أريدكم أن تحلقوا ذقنكم كل يومين وتستطيعون الاحتفاظ بشواربكم على شرط أن تهذبوها ولا أريد رؤية لحمي .

وقال ضابط بريطاني حديث السن .

- سيدي لا توجد معنا ليرات كافية لشراء أمواس من متجري

المعسكر .

- أتعتنى أن بالمعسكر أمواسا .

وأجاب رجل سمين تبدو عليه الطيبة :

- نعم يا سيدي .

وسأله ريان :

- من أنت ؟

- أنا الضابط يونس سميت المسئول عن متجر المعسكر .

إن لدى كنت من الأمواس ولكن هؤلاء الرجال لا يستطيعون الشراء .

- إذن اعطها لهم بالأجل .

- سمعاً وطاعة يا سيدي .

ثم أمسك كل الضباط والجنود تحية الضباط والجنود

الأكبر منهم مرتبة سواء كانوا بريطانيين أو أمريكيين أو إيطاليين ١٥
وأخيرا أنا فى انتظار تنفيذ هذه القرارات وإلى أن تصلكم منى أوامر
أخرى ، شكرا سادتى .

وعلق بونز على ذلك قائلا :

- نحن نحبي جنود الأعداء ١٦

وتجاهل ريان هذا التعليق مؤقتا والتفت الى ضابط حديث
السن كان يقف بجانبه :

- ما اسمك ١٧

- ملازم بترسون .

- هل لديك قميص ١٨

- نعم يا سيدى .

- حسنا من الآن فصاعدا ارده فقد عينتك بأورا خاصا لى ١٩
وسادعوك الى حينما أحتاج اليك .

وسار ريان الى الرجل الاصلع الذى قاطعه ثم قال له
بصوت عال :

- أنت وبونز سوف تبقىان فى داخل العنابر لمدة ٢٤ ساعة
ولا تخرجان الا للأكل ٢٠ مفهوم ٢١

وساد الأمرى صمت محنوم غاضب وجاء القنيس الأمريكى
فقال ريان :

- أريد أن ترتدى ملابس مناسبة فلا يليق بقميص أن يرتدى
هذه الملابس الرثة .

- حسنا سأفعل ذلك يا سيدى .

- والآن أريدك أن تصحبينى الى الكولونيل بتجاليا ٢٢

- هل استدعاك ٢٣

- كلا فانا أفضل البدء بالزيارة - أما أنت فتستطيع أن تكونى

مترجمى الخاص اذا احتاج الأمر فقد علمت أنك تتحدث الإيطالية
ببراعة ٢٤

الفصل الرابع

رفض الحارسان رجاء القسيس في السماح لريان بالمثل أمام الكولونيل بتجاليا وقال له ريان :

— قل له اذن اننى أريد رؤية أوريانى •

— ولكنهم جميعا يخافون أوريانى ويخشونه •

— ألا يخشوننى أنا ؟ •

— نعم ولكن ليس كما يخشون أوريانى •

وهنا التفت ريان الى الحارس وقال بصوت عال غاضب قاس :

— الميجور أوريانى •

وذهل الحارس وبهت لونه وجاء حارسان آخران لمساندته

وتجمع الأسرى لمشاهدة المنظر المثير • وظهر وجه أوريانى من نافذة

حجراته ولكنهلقى نظرة ثم اختفى ثانية • وهنا صرخ ريان بأعلى

صوته •

— ميجور أوريانى •

وخرج الملازم فلافى وتساهل :

— سيدى ماذا تريد من الميجور أوريانى ؟ •

— اذهب وقتل له الا يرسل الى صيبيا حينما أطلبه هو •

بعد لحظات ظهر أوريانى وابتسم ابتسامة دهاء ومكر وقال :

— ماذا تريد يا كولونيل ريان ؟ •

— أريد مقابلة الكولونيل بتجاليا •

- ألا يحسن بك أن تخبرني عما تريد منه وأنا سوف أحاول
أن ...

- أريد مقابلة بتجاليا شخصيا ولا أريد تفسييع وقتي
مع مساعديه .

- حسنا هيا بنا .

جلس الكولونيل بتجاليا في مقعده وبدأ متحفزا للهجوم «
كانت عيناه تلمعان ببريق الغضب .

وأخيرا قال :

- كولونيل ريان لقد جئت هنا أمس فقط ومع ذلك ها أنت
قد أثرت الأسرى .

ورد ريان :

- هذا هو سبب مجيئي إليك أن حالة المسكر ٢٠٢ سيئة للغاية
وأنا على يقين أن الأسرى أنفسهم مسئولون إلى حد كبير عن حالة
الفوضى والقذارة المتفشية هنا . ولذلك فقد جئت إليك طالبا
التعاون . (وصمت ريان فترة) هل تسمح لنا بالجلوس ؟
وقال بتجاليا مهتما :

- نعم . . نعم . . أي تعاون هذا الذي تطلبه ؟ .

- أولا : أريد أن أشكرك لارسال الملازم كارتر إلى المستشفى .

ثانيا : معي هنا قائمة بالمسائل التي أرغب في مناقشتها معك
بحيث أن كلينا مهتم بمصلحة الأسرى وحسن سلوكهم . لقد أموت
جنودى وضباطى بتحية الضباط الأكبر منهم مرتبة سواء كانوا من
الأسرى أنفسهم أو من الإيطاليين . أفلا ترى أن واجب صغار
الضباط الإيطاليين تحية كبار الضباط الأسرى ؟

ولم يرد بتجاليا جوابا فأوما برأسه .

واستمر ريان :

« وقد تبين أن سبب تفشي الفوضى هو عدم اهتمام الأسرى

بنظامهم ونظافتهم فملابسهم ممزقة • لذلك أعتقد انهم لو اهتموا
بالنظافة والنظام فى عنابرهم وملابسهم فسيكونون أكثر طاعة لنا.
وعلق بتجاليا على ذلك بقوله :

• هذا صحيح •

وأكمل ريان :

• لقد أمرتهم بتنظيف عنابرهم وقص شعورهم وحلق ذقونهم
ولكننا لتنفيذ ذلك نحتاج الى جرادل لطيفة وأماوس وما سباحن
وصابون وملابس جديدة • وقد علمت ان هناك ملابس عسكرية
فى المخازن

وقاطعه بتجاليا :

• كلا لن أسمح بأية ملابس فقد سبق أن حاول بعض الأسرى
ادخال التغير عليها وجعلها تشبه الملابس الإيطالية وحاولوا
الهرب بها •

• سيدى انى أعطيك وعدا ألا تستغل هذه الملابس فى أغراض
الهرب مرة أخرى •

ورد بتجاليا قائلا :

• يجب أن استشير أوريانى فى ذلك • ان الإيطاليين يسرون
حفاة عراة بسبب قنابلهم •

• ولكن سكان ضقلية يرحبون بجنودنا • وعلى أية حال يمكننا
ترك مسألة الملابس هذه •

وبدأ ريان يعرض باقى طلباته ولكن بتجاليا رفضها كلها
فايطاليا بلد فقير تحارب بلدا قويا ولا تستطيع توفير الراحة لاسرى
الحرب الذين يقوم زملاؤهم الآن بقتل الجنود الإيطاليين •

وأخيرا قال ريان :

• ثم هناك شىء آخر • • • لقد سمعت انك فى حاجة الى جنود •

• نعم فليس لذى غير نصف العدد الذى احتاجه •

ورذ ريان :

- نعم اعلم ذلك ف كبار الضباط يجلسون على مكابهم ولا يعرفون حقيقة الحالة في الميدان .

وأجابه بتجاليا موافقا :

- هذا صحيح .

- اذن اريد أن أعرض عليك بعض المساعدة . سأختار بعض الضباط ليقوموا بنقل معونة الصليب الأحمر راعسك بشرفي ألا يحاول أحدهم الهرب .

وتردد بتجاليا فترة ثم قال :

- حسنا علي هذا الشرط .

وأكمل ريان حديثه :

- وحيث أن عدد الأسرى سيكون كافيا لنقل طعام الصليب الأحمر فانا أقترح إن ينال كل أسير علبة كل أسبوع

- ولكن الأكل الكثير يجعل الأسرى يحاولون رشوة الحراس .

- ان علبة واحدة في الأسبوع لكل أسير ليست بالكثير وعلى كل حال أعدك ألا يستعمل هذا الطعام في رشوة الحراس قط .

وتردد بتجاليا فترة ثم أجاب :

- حسنا .

وردد ريان :

- سيدي الكولونيل . . اني ورجالي شاكرونك حسن اصغائك لمشكلاتنا .

وقال بتجاليا وهو يتنسم :

- سيرافيك أوريامي عن كتب فانت ما ر جدا .

وقال ريان هادئا :

- انى أعنى كل كلمة قلتها ومأنفذ وعودى لك • والآن هل
تسمح لنا بالانصراف •

حينما خرج ريان والقسيس من حجرة بتجاليا مرت بوجه
أوريانى الذى كان ينتظر بالخارج سحابة قلق وخوف • واستأذن
منه ريان والقسيس وتركاه نهبا للشكوك •

• • •

وفى الخارج بدأ القسيس يتحدث :

- كولونيل ريان انى امنتك من صميم قلبى وسيشكرك كل
الأسرى حينما يعلمون بما فعلته اليوم من أجلهم •

- انى لا أريدك يا أبت أن تحدث الأسرى بما حدث فقد يغير
بتجاليا رأيه اذا ما ضغط عليه أوريانى وأنا لا أريد أن أبعث الأمل
فى الأسرى ثم أخذهم •



الفصل الخامس

كان أورد أول من لاحظ خروج ريان والقسيس من لدى
بتجاليا • وسرعان ما أعلن ذلك فتجهمر الأسرى وأمطروا ريان
بوابل من الأسئلة • ولكنه لم يرد عليهم وكذلك القسيس • وأخيرا
طلب ريان الى فينشام أن يتبعه ليتباحثا ، وقال له :

- أريدك أن تجمع ويمرل رئيس القسم الأمريكى وجريمرلى
المشرف على القسم البريطانى وبرسفورد الطاهى وبترسون وأنت
فى حجرتى • وسأتى اليكم هناك فورا •

توجه ريان الى عنبر (م) حيث يقوم الجنود بعملية التنظيف
الشاقة ومر بيده على الشباك فوجد بعض الأتربة ولكنه نظر الى
الأسرى وقال مبتسما :

- هذا أحسن ما تستطيعون القيام به الآن ، ولكننا حين نحصل
على معدات فسانتظر منكم مزيدا من النظافة والآن ... ساداتى
تستطيعون الاستمرار فى عملكم •

ورغم رغبة الأسرى فى المعارضة ونفورهم من عملهم الا أن مدحه
لهم بعث فيهم بعض الشعور بالرضا •

دخل ريان حجرته فوجد كل من طلبهم يجلسون صينامتين
فى انتظاره •

وبدا ريان حديثه :

- لقد وافق الكولونيل بتجاليا على التعاون معنا في حل عدة مشكلات وهذا يتطلب بعض التعاون من جانبنا .
وعلق فينشام غاضبا :

- أنا لن أعاون مع الأعداء .

- كولونيل فينشام مستنفذ الأوامر بلا اعتراض .. أولا لقد وافق الكولونيل بتجاليا على أن يحيى كل الأسرى والحراس كل الضباط الأكبر منهم رتبة سواء أكانوا بريطانيين أم أمريكيين أم إيطاليين .

وعلق فينشام مرة ثانية :

- لقد أنجزت الكثير في تلك المقاتلة .

وتجاهل ريان هذا التعليق وأكمل حديثه ؟

- ثانيا بالنسبة لنقل معونة الصليب الأحمر سيساعد بعض الأسرى في نقل علب الطعام إلى المعسكر .

وظهر التدمير على وجوه الموجودين .

وأكمل ريان حديثه :

- ملازم ويمرلى .. أنت وبرسفورد أرجو أن تستعدا لنقل ألف عبة طعام .
- ألف ؟

- نعم .. فقد وافق الكولونيل بتجاليا على أن ينال كل أسير عبة كاملة في الأسبوع .

وزال التذمر وصاح فينشام :

- برافو .. آسف لتعليقي السابق واهنتك .

واستأنف ريان حديثه :

- سادتي لم يحن الوقت بعد لتهنئتي أو لتهنئته أنفسنا مازال أمامنا الكثير لاتجازه . وأرجو ألا يصدر عنكم أى حديث يشبه

الى مسألة العلب الكاملة فقد يخرج أورياني بتجاليا ويضطره الى تغيير رأيه .

وأخيرا سمح ريان للقادة بالانصراف ماعدا فينشام وسأله :
- اين قائمة أسماء أكبر عشرة ضباط بريطانيين وأكبر عشرة ضباط امريكيين ؟
- ولكنك طلبتها هذا الصباح فقط .

- كولونيل فينشام حينما اطلب شيئا فانا أريده فى الحال وبلا ادنى تأخير . أريد هذه القائمة بعد طابور المساء .
حين جاءه فينشام بالقائمة فى المساء نادى على بترسون . . . وقال له :

- أريدك ان تخطر الاشخاص الموجودة اسماءهم هنا بضرورة الحضور الى بعد العشاء على ان يحضروا فرادى فانا لا أريدهم ان يتجمهروا أو ان يحس باقى الأسرى بأى شئ .

حين اجتمع ريان بكبار الضباط كانوا جميعا فى عجب من امره ماذا يريد منهم ولماذا دعاهم فى هذا الوقت ؟ ولم يطل انتظارهم فقد بدأ ريان حديثه فورا فقال :

- سادتى لقد جمعتكم هنا لثقتى بأنكم ستتعاونون معى الى أقصى حد . اعتقد انكم جميعا لاحظتم بل وقد تدمرتم من سوء النظام هنا . وانا أريدكم ان تبدلوا قصارى جهدكم لكي يتحول هذا المكان الى معسكر حربى حقيقى لا مجرد استبطل للخنازير .

وطفت أصوات التدمير على صوته .

- سادتى منقسم هذه الجموع الكثيرة من الأسرى الى عشرين وحدة يرأس كل منهم واحدة . ويكون مسئولاً عن رجالها مسئولية تامة . وسيكون فينشام مشرفا عاما يساعده ويمرل .

وتلدمر الرجال مرة أخرى :

- سادى اتى واثق انكم ستنفذون اوامرى بحذافرها لكل ضابط يخطئ لا يعاقب وحده بل يعاقب رئيسه معه كذلك .

وساد السخط مرة اخرى .

- اريد من كل منكم حصر أسماء تابعيه ورتبهم والحرف التى يجيدونها فاذا طلبت مثلا شخصا يتحدث الإيطالية أوشدمونى عنه . واذا طلبت رسم خريطة عرفت من من الأسرى يستطيع ذلك . واذا اردت متحدثا باللغة الألمانية وجدته . . . اريد مسحا شاملا لحالة الأسرى وامكانياتهم وحاجتهم أيضا .

ويدات الأصوات تهدأ فيما عدا بوشتيك الذى قال :

- كولونيل اريد أن انتقل من هذا المعسكر فوراً .

وظهر الغضب على ريان وقال :

- ان اى معسكر لن يقبلك بل ولن يقبلك الايطاليون انفسهم . ولكنك تريد رفع راية العصيان . . اذن . . عليك بالسير حول المعسكر ساعة كاملة كل يوم على أن تسير بخطوة عسكرية . وسراقب ويمبرلى هذه العملية ، والآن سادى تستطيعون الانصراف .

الفصل السادس

وجاء يوم توزيع علب الطعام . وبدأ الأسرى يلمعون ويمرحون
بكما لو كانوا صبية ينتظرون حبيباتهم ولاحظ ريان ذلك وسأل
فينشام أن كان أحد قد أفشى سر العلب ولكن فينشام طمأنه بأن
الأسرى يكونون هكذا دائما في يوم توزيع العلب وأنهم لا يعرفون
بعد أن كل منهم سيحصل على علبة كاملة لا نصف علبة .

واتجه ريان الى وسط المعسكر ووضع كرسيه ثم وقف عليه
وقال :

- سادتي أريد مائة وعشرين رجلا قويا للقيام بعمل عسكري
هنا .

ولم يفهم أحد غرضه .

واكمل ريان طلبه :

- على الذين يريدون التطوع الاقترب مني لتسجيل
أسماءهم .

ولم يقترب سوى بترسون وفينشام . وهنا سار ريان بين
الأسرى ينتقى الأقوى والأضخم فكان يقول « أنت أنت »
ليسجل بترسون أسماءهم . وحين اكتمل لديه العدد اصطحب
المتطوعين معه وترك الباقين في حيرة من أمرهم بعد أن أصدر اليهم
الأوامر بالبقاء داخل عنابرهم لحين صدور أوامر أخرى منه .

بعدان ابتعد الأسرى تحدث ريان إلى المتطوعين بالأكراه فقال :
- أبدا حديثي بشكركم عن التطوع .. ومهمتكم تتلخص في
مساعدة الكولونيل بتجاليا فقد وعدته بذلك .
وبدأت الشتائم اللاذغة تتساقط عليه وعلى أبويه ووصف
بأنه خائن متعاون مع الأعداء و ..
ولم يطق ريان صبرا فقال :

- ليس لدى الوقت لمعاقبة الفوغاء منكم ولكن في المرة القادمة
سيكون العقاب أكثر مما تتوقعون والآن .. سوف تساعد جنود
الكولونيل بتجاليا في نقل علب الطعام من عربات الصليب الأحمر
إلى خزائن المعسكر . وسيطلب ذلك خروجنا من هنا ولكني وعدت
الكولونيل بتجاليا ألا يحاول أحدكم الهرب وأقسم بشرفى أن الذى
سيحاول أو يفكر فى الهرب سيلقى جزاءه هنا أو بعد انتهاء الحرب
إذا كانت محاولته قد أفلحت .. مفهوم ؟

وحينئذ ساروا جميعا إلى باب المعسكر حيث وقف أوربانى
وبعض الحراس على استعداد لإطلاق النار على كل من يحاول
الهرب .

وأوقف ريان الأسرى فى طابور طويل بحيث يبعد الواحد عن
الآخر مدة أقدام وجعل أول الطابور عند العربات التى تحمل العلب
وآخر الطابور عند باب المخزن وبقي لديه أحد عشر رجلا من بينهم
القسيس . فجعل القسيس يعد العلب والعشرة الباقون يصفونها
فى المخزن .

وأخيرا نظر ريان إلى المتطوعين وقال :

- والآن نبدا العمل .

وانتقلت العلب بسرعة مذهلة من يد لآخرى من عربات الصليب
الأحمر إلى باب المخزن بينما القسيس وضابط إيطالى آخر بعدان
العلب . وفى داخل المعسكر نظر الأسرى من نوافذهم يراقبون

الشهد المثير كما لو كانوا يراقبون سيركا وظهر الكولونيل بتجاليا .
والقى نظرة على العملية ثم عاد الى مكتبه راضيا .

أما داخل المخزن فقد كان الأسرى يرصون العلب وحينما وصل
العدد الى ٤٨٢ صاح احدهم :

- لقد تعبت جدا واعتقد اننا لن نفعل ذلك مرة اخرى .

ونظر اليه فينشام مبتسما :

- ولكننا لم ننته بعد .

ولاول وهلة لم يفهم الضابط ما كان فينشام يرمى اليه .
ففسر له فينشام قوله :

- سيكون لدينا ٩٦٤ علية .

وصاح الأسير مفتيطا :

- اعتقد اننى لم اتعب بعد .

ولاحظ باقى الأسرى ان عدد العلب يزيد عن نصف عدد الأسرى
وانتقل التعليق من قم لاذن بأسرع مما تنتقل العلب من يد ليد
وخرج الأسرى من عنابرهم واشتركوا جميعا فى العد وبدأ صوتهم
كما لو كان فرقة فئائية جماعية ، وأخيرا حينما وصل الرقم الى
٩٦٤ ساد السكون فترة . ثم ارتفعت صيحة لم يسمع لها العسكر
مثيلا من قبل . .

وخرج بتجاليا من مكتبه مسرعا يستطلع الأمر وقال ويان
ضاحكا :

- ان الأمرى يتفنون باسمك ويشكرونك . هل انت راضى من

العمل . .

- نعم .

- اذن يستطيع الرجال نقل الملابس من المخزن كذلك .

ولم يحرج بتجاليا جوابا لفترة قصيرة ثم قال :

- حسنا . .

ونظر ريان الى جنوده ثم قال :

- استراحة وتستطيعون التدخين .

وبدا بعض الاسرى يدخنون بينما بقى البعض الآخر ينظرون اليهم فى نهم . واخرج ريان عليه فوجد بها ثمانى سجائر فنادى على بترسون وقال له :

- وزع هذه السجائر على الاسرى الذين لا يدخنون ولكن اياك ان تقل لهم انها سجائرى .

وقبل ان ينتهى الرجال من تدخين سجائره صاح اوريانى قى الاسرى :

- لقد انتهى العمل .. هيا تفرقوا .

وثار الاسرى فى وجهه ولكن ريان صاح فيهم :

- من سمح لكم بالخروج من هناكم لقد سمحتم ما قاله الجور . هيا تفرقوا .

واقترب القسيس من ريان وقال له :

- لقد كسبتهم ثم خسرتهم ثانية .

ورد ريان :

- ابت .. انا لا احاول الحصول على حبهم بقدر محاولتى الحصول على النظام .

الفصل السابع

بعد اسبوعين كان ريان قد اُحالَ العسكر ٢٠٢ الى شيء مختلف كلية . فاصبح الاسرى منظمون يهتمون بنظافتهم . شعورهم مقصودة وذقونهم حليقة . ينظفون عنابرهم مرة كل اسبوع ويحيون اورياني اذا ما مر بهم فيرغمونه على رد التحية .

ولم يجد ريان صعوبة في اقناع بتجاليا بتحقيق بعض طلبات الاسرى فقد كانوا مطيعين منظمين . وبناء على وعد ريان بالا يجفر الاسرى اية أنفاق داخل الحمامات وافق بتجاليا على أن تفتح مرثان في الاسبوع ولكنه رفض أن يعطيهم ماء ساخنا . ولم يعترض ريان بل رحب بما استطاع الحصول عليه وارغم باقي الاسرى على الاستحمام مرتين في الاسبوع بماء بارد .

وابتكر ريان شيئا آخر . فقد طلب من كل الاسرى مهما يلفت مرباتهم ، اعطائها الى لجنة تقوم باستغلالها لصالح المجموع فاستطاعوا شراء امواس حلاقة وصابون وفرش وبعض البصل كي يستعمله الطباخ في تقديم انواع معينة من الاكل .

وفي الاسبوع التالي لتوزيع علب الصليب الاحمر امر ريان الاسرى باعطاء عليهم الى الطباخ ليعد الطعام لهم جميعا . ولكنه استثنى السكر والشاي والمربي واللبن . فقد كان يعلم ان الاسرى يتبادلون هذه الاشياء حسب مزاجهم الشخصي أو لقاء خدماتهم لبعضهم البعض .

واهترض الأسرى على ذلك ولكنهم حينما ذاقوا الطعام اللذيذ الذى صنعه لهم برسفورد شكروه بشدة ولم يهتم أحد بشكر ريان .

وفى الأسبوع الثالث أحس ريان بأن الأسرى أصبحوا لائقين جسمانيا ونفسيا للقيام ببعض الألعاب الرياضية . فنادى على قواد الفرق العشرين وطلب منهم أن يدلوه على شخص يستطيع القيام بتدريبات رياضية . وسرعان ما علم أن بولس سميت الضابط المسئول عن الكانتين كان مدرسا للألعاب الرياضية قبل التطوع فى الحرب . فاعفاه ريان من مركزه وجعله مسئولا عن رياضة الأسرى .

وبعد طوابير الصباح اليومية كان الأسرى يقفون فى أماكنهم بينما يقودهم سميت فى القيام بتدريبات رياضية . ولم يعف أحد من ذلك الا المرضى الذين يوافق الدكتور شتاين على إعفائهم .

وكالعادة رفض فينشام أن يتصاون . وفى كل صباح كان يجلس على باب غرفته ويضحك من الأسرى ويسخر منهم . وحاول ريان أكثر من مرة إقناعه بضرورة القيام بهذه التدريبات . ولكنه كان يرفض قائلا : « أنا لست أبلة لكى أشارك فى هذه الألعاب الصبائية » وفى كل يوم كان أوريانى يظهر فى الفناء لعدة دقائق ثم يتسحب الى حجرته .

وذات صباح اقترب أوريانى من ريان وقال له :

- انى أعجب من أنك لم تستطع إقناع فينشام بالاشتراك معكم

هل هو خارج من سلطتك ؟

وصاح ريان بأعلى صوته :

- فينشام ان الميجور أوريانى يسأل عنك .

واتجه أوريانى الى حيث جلس فينشام وقال له بصوت يعلو

الى اذن ريان :

- يسعدنى حقا ان أجد بين كل الأسرى واحدا يستطيع ان

يقاوم ريان .

ونظر اليه فينشام باحتقار فاستغل ريان هذه الفرصة وقال :

— فينشام ، أرى أنك قد وجدت صديقا .

ودون أن ينبس فينشام ببنت شفة قام من مجلسه وتوجه الى حيث كان باقي الأسرى وبدأ يشاركهم في تدريباتهم .

وقد واطب على هذه التدريبات رغم تمام علمه بأن ريان قد استغل أورياني في اقتناعه .

وبعد عدة أسابيع رأى ريان أن يقوم الأسرى ببعض التدريبات العسكرية وليكن أورياني اعترض على ذلك وتمسك بنصوص ميثاق جنيف التي تحرم على الأسرى القيام بأى أعمال عسكرية أو حرية .

وفى اليوم التالى نادى أورياني على جنوده وجعلهم يقومون ببعض التدريبات ثم بعد ذلك يتدربون على اطلاق الرصاص وكان ذلك يتم كل يوم تحت سماع وبصر الأسرى الذين كانوا يثورون كلما أحسوا أن الجنود يتقدمون .

الا ان ريان لم يتأثر بذلك . فكل أسباب ضيقه فى الآونة الأخيرة تلخصت فى احساسه المرير بأن هناك آلافا من البذات العسكرية المخزونة التي تنتظر اصحابها فى حين كان الأسرى يرتدون ملابس مهلهلة لا تليق بهم .

وذاذات يوم جاءه بترسون بقميص ممزق . وحين سأل ريان عن سبب ذلك لم يحر جوابا .

فقال ريان :

— ان الأسرى سيستون معاملتك لأنك تابعى فهل تريدنى ان أعفك ؟

— كلا . كلا يا سيدى فعلمى معك شرف لى .

— اذن لا تطلق ، سأحصل لك على قميص جديد .

أخرج ريان الى وسط القناء ووقف على كرسيه ثم دعا كل
الأسرى . وبدأ حديثه :

- سادتي سوف نقوم الآن بلعبة تقليد نادى العراة وحينما
أعطى الإشارة ، ستقومون جميعا بخلع ملابسكم كلها ثم وضعها فى
كومة كبيرة فى وسط المعسكر وسيكون ذلك بمنتهى السرعة ولن
يستثنى من ذلك سوى القسيس ، والآن ، هيا بنا .

وبدا ريان يخلع ملابسه وتردد الأسرى ولكنهم حين راوه يقف
عاريا كما ولدته أمه خلعوا ملابسهم مثله بسرعة وحين وضعت كل
الملابس القديمة فى كومة كبيرة سكب عليها الطباخ بعض الجازا
وأشعلت فيها النار .

وجاء أوريانى ونظر وسبق فامامه الف رجل لا يستترهم شيء
فجرى الى بتجاليا ، وجاء باقى الحراس وأخذوا يجرون هنا
وهناك ويحاولون إطفاء النار ولكن ميعاد الفسيل كان قد انتهى
ومن ثم قطعت المياه . وساد المعسكر الهرج والمرج ، وبدأ الأسرى
الحجولين فى أول الأمر يضحكون من الحراس وحيرتهم ، وضج
المعسكر بأصوات الإيطاليين المختلفة وضحكات الأسرى . ووقف
بتجاليا يصرخ ويصدر الأوامر !

وأخيرا ترك ريان مكانه الى حيث وقف بتجاليا وقال له :

- كولونيل بتجاليا ما رأيك الآن فى استخراج الملابس الجديدة
من الخزن ؟ .

الفصل الثامن

توجه ريان راضيا الى الحبس الانفرادى فقد كان ككل الأسرى يرتدى ملابس عسكرية جديدة . كانت زنزانته لا تحتوى الا على سرير وكرسى وكان الحراس يتبادلون الحراسة كل ثماني ساعات .

وحرم ريان من السجائر ومنع من أى اتصال اللهم الا مع حراسه ولكنه كان يواظب مع ذلك على القيام بالمعابه الرياضية مرتين فى اليوم . . الا ان الرياضة لم تكن تشغل الا جزءا يسيرا من وقته ومن ثم فقد كان يجد متعة فى التفتيش على حراسه . وبعد بقاءه هناك عدة ايام كان حراس «الثلاجة» انظف واكثر اعتناء بأنفسهم من كل حراس المسكر الآخرين .

وفى اليوم الرابع لحبسه جاءه أوريانى قائلا :

— لقد جئت لزيارتك والاطمئنان على صحتك . ولكن أشكرك أيضا فقد جعلت حراسك يعتنون بمظهرهم ايما اعتناء .

— هذه غلطتك فأنتم لا تفتونهم الفرصة للظهور بالمظهر اللائق .

— كولونيل انك رجل متعلم وتحب النظام والنظافة ومع ذلك تقتصر فائتك معى بنقصها الكثير من اللياقة والأدب فما هو السبب؟ .

— السبب اننى لا أحبك تماما كما لا تحبى انت ولكنى احاول التظاهر بغير ذلك مثلك .

كان ريان لا يزال يجهل السبب الحقيقى لزيارة أوريانى

وحيثما بدأ أورباني الحديث ثانية لم يظهر ريان أية اهتمام رغم شوقه لمعرفة كل الاخبار .
وقال أورباني :

— لقد وقع حادث طريف اليوم ، أتود معرفته ؟
— لا بأس .

— لقد قام الأسرى بعمل دمية قبيحة من القش ووضعوا عليها لافتة كتب عليها « ريان الخائن » ألا تجد ذلك مسليا ؟

— لا أستطيع الحكم على ذلك فانا لم أرها بعد .
— قد تبقى في مكانها حتى خروجك .

— لا بأس . أريدك أن ترسل لي الكابتين شتاين .
— ولكن ليس مصرح لك باستقبال الضيوف .

— ولكن هل تحرمنى من الرعاية الطبية ؟
— ولكنك لا تبدو مريضا على الإطلاق .

— ان الدكتور شتاين يفحص رأسى مرة كل أسبوع وعليه فحصها اليوم .
— حسنا سأرسله لك .

ووافق أورباني على ارسال شتاين لانه كان يريد ريان أن يعرف بعض الحقائق عن المعسكر تلك الحقائق التي لم يستطيع أورباني التصريح بها .

بعد لحظات جاء شتاين وقال
— ما الخبر يا كولونيل ؟

— هذا هو ما أريد معرفته . . افحص رأسى فهذا مسبب وجودك ثم حدثنى عما حدث فى الخارج .

— ماذا تعنى يا سيدى ؟
— لا تحاول إخفاء الامر فأورباني لم يطق صبرا لاجبارى . .

وأنا لا أهتم بهذه الدمية ولكن ما يهمنى هو مسبب حقدكم علي .

« أن ذلك يرجع غالباً لموضوع علب الطعام »

« ماذا بشأن علب الطعام ؟ »

— لقد أعاد الكولونيل بنجاليا توزيع العلب بحيث يصل كل أسير علبة واحدة في الأسبوع . وذلك لأننا أحرقنا ملابسنا .
— لقد قلت غالباً ، فما هي الأسباب الأخرى ؟

— لقد حرّمهم بنجاليا من السجائر وأمرهم بالوقوف طوابع أربع مرات يومياً بدل مرتين . وأصبح يطفىء الأنوار قبل ميعادها بساعة .

— أكمل حديثك فأنا أعرف أن هناك الكثير . فقد كان أورياني سعيداً للغاية فلا بد أن هناك سبباً لذلك .

— حسناً لقد ...

— لا تتردد هيا أخبرني بكل ما حدث .

— لقد عاد الأسرى الى حالتهم الأولى من القوضى وقلة الاعتناء بالنظام والنظافة .

— ألم يحاول فينشام إبقاءهم على المستوى الذى حاولت إجاهدا حتى وصلوا اليه ؟

— كلا . . . وهم لا يقومون بتدريباتهم الرياضية . . فيونس صميت يقف هناك بكل صباح فى انتظار حضورهم ولكنه غالباً ما يقوم بالتدريبات وحده .

— حسناً . . . والآن عليك أن تبلغ فينشام أمراً صادراً منى له . عليه أن يعيد النظام والحالة الى ما كانت عليه قبل دخولى « الثلاثة » وأنا أعدّه مسئولاً أمامى من أى قوضى أو خطأ أجده حين خروجى . ثم أريدك بعد ذلك أن تبلغ أوريانى أننى أريد رؤية الكولونيل بنجاليا .

وابتسم فتأبين .

« لم يُبسم ؟ . هل أهدى ؟ »

— كلا ولكنى لا أستطيع التعرض لأوريانى فلست فى مثل قوته أو مركزه .

— كل ما عليك هو توصيل رغبتى إليه . والآن أريد أن أسالك سؤالاً آخر :

— هل تشبهنى بتلك الدمية ؟ .

— كلا فهى تشبه امرأة حامل .

— ان هؤلاء الضباط الحمقى لا يجدون فعل شيء .. حسنا يمكنك الانصراف الآن .

حاول شتاين جهده اقناع أوريانى بضرورة مقابلة ريان لبنجاليا ولكن أوريانى رفض رفضاً باتاً .

وبعد أسبوع أخرج عن ريان رغم توقعه لمدة عقاب أطول . ولكن يبدو أن السبب الحقيقى فى الإفراج عنه هو رغبة بنجاليا فى استتباب النظام مرة أخرى . وقد وضع هذا السبب لريان فى يوم خروجه .

فبينما هو يسير الى مكانه فى طوابير الصباح رآه أورد فضاح :
— لقد عاد ريان .

وتلطم الرجال ولكن ريان لم يبد أى حراك بل سار الى مكانه فى هدوء .

وقال أوريانى بصوت عال :

— مرحباً بالكولونيل .. هل تمتعت بأجازاتك ؟ .

— نعم بلا شك ..

— وهل رأيت ما فعله الأسرى تكريماً له ؟ .

وأشار أوريانى الى الدمية .

وابتسم ريان وقال :

— ان الدمية افضل من صاحبها .

وضع الأسرى بالضحك .



بعد ظاهور الصباح توجه فينشام الى ريان ليحاول الترحيب به ولكن ريان نظر اليه مقتظا وقال :

- هلا صحبتني الى حجرتي ؟ فلدني الكثير لأقوله لك .

تعجب فينشام من هدوء ريان وقال :

- لقد غيرت الثلاثة من أخلاقك بلا شك .

وفي الحجرة جلس فينشام على الكرسي الوحيد . بينما وقف ريان يوجه اليه التهم :

- كولونيل فينشام أهنتك فقد هدمت في اسبوع ما انجزته انا في شهر .

- لا تهنتني فقد ماد المسكر الى حاله بسبب تصرفك أنت .

- انا لا اتحدث عن الاجرامات التعسفية التي اتخذها بتجاليا ودا على تصرفاتي فانا المسئول عنها ولكنك مسئول عن النظام .

- انك لا تأمرني هنا .. فرببتك لا تسمح لك باهانتني .

- انني لا اهينك ولكني اعدك مسئولا عن الفوضى المتفشية

هنا ..

- من حسن حظك انني لا اضرب الجرحى .

- بل من حسن حظي انك عرضت على مبدأ الضرب .. هيا

بينا ..

تقدم فينشام متحفزا لضرب ريان . ولكن ريان بحركة بسيطة يجرد القاه ارضا .

بعد مدة لحظات فتج فينشام حينه وتساءل :

- ماذا حدث ؟

- لا شيء لقد هزمتك .. والآن هيا بنا نتصافح فشحجارتنا هكذا

كان مجرد تنفيس عن الكبت الذي نعاني منه .

لم يعد ريان كما كان . واعتقد الأسرى انه استسلم لهم فتمادوا في الفوضى . أما بترسون فقد كانت عيناه دائما مملوءتان بدموع غيرة

متفوق في ان يمسك ريان بزمام الأمور مرة أخرى . ولكن ريان لم يكن يميز نظراته تلك أى اهتمام .

بعد ثلاثة أيام جاء القسيس الى ريان وسأله :

— ماذا بك يا كولونيل ؟

— لا شيء فانا على ما يرام .

— ولكنك لم تعد تهتم بالمعسكر .

— اعتقد ان ذلك يرضيك . . ألم تقل لى اكثر من مرة اننى أقسو عليهم ؟

— صحيح ولكنهم الآن أسوأ حالا مما كانوا عليه قبل سبوعين . . . هل هذا هو ما ترمى اليه ؟ . ان تجعلهم أسوأ مما كانوا .

— لقد سمعت ما يقوله الأسرى عنى . . . لقد تخلى ريان عن شجاعته فى الملاحة . .

— ولكن هذا غير صحيح فانت لا تزال شجاعا . وانا لا أفهم بسبب تصرفك ولكن لا بد ان لها سببا معقولا .

— اشكرك يا أبت لثقتك فى . .

فى الصباح التالى اجتاحت المعسكر اشاعة قوية بان الايطاليين قد منوا بخسائر جسيمة فى الحرب . وقد أكدت هذه الاشاعة تصرفات أوريانى . فقد كان ساخنا متوتر الأعصاب أما فلافي الذى أحاط به الأسرى فقد بدا قلقا ولم يستطع الاجابة على أسئلة الأسرى المتلاحقة . ولكنه استطاع أن يهمس للقسيس بشيء ما .

والثف الأسرى حول القسيس يحاولون معرفة حقيقة ما حدث ولكن القسيس قال لهم انه وعد فلافي بعدم افشاء أية أسرار ولكنه اتجه فورا الى حيث كان ريان وقال له :

• لقد عبرت قواتنا مضيق مسينا ونزلت بأرض إيطاليا لقد
سمعت الخبر من فلاني •

وقال ريان متخوفاً :

• هذا ما كنت أخشاه فلو ان قواتنا نزلت بالشمال لكان ذلك
أفضل لنا مائة مرة •

• ولكنني أعتقد ان نزول قواتنا على أرض ايطالية يعتبر
نصراً لنا •

• فعلا فسوف يضطر بتجالياً للتعاون معي •

وقطع حديث ريان والتقييس صراخ الأسرى فخرجوا لاستطلاع
الأمر • كان الأسرى يقفون بالقرب من باب المعسكر ويهتفون •
كان جلياً ان الأسرى قد عرفوا بالخبر وأن ثورتهم هذه لن تخدم •
وتزايد الصراخ وانهالت الشتائم على أورياني •

وحينما تمادى الأسرى في صخبهم خرج أورياني لهم وقال :
• تفرقوا فوراً •

وحينما لم يهتم الأسرى بظاعته نادى على جنوده وأمرهم
بتوجيه أسلحتهم نحو الأسرى •

وقال اذا لم تفرقوا بعد أن أعد ثلاثة فسوف يطلق رجالى النار
عليكم :

• واحد •••

توقف الهرج والمرج ونظر الأسرى في شك الى الجنود
المسلحين •

• اثنين •••

بدأ الأسرى يتراجعون •

وجاء ميعاد طابور الصباح • ورفض الأسرى تنفيذ الأوامر •
ونظر أورياني الى ريان كمن يقول له • ألا تستطيع السيطرة

على ضباطك ، وحينما تجاهل ريان نظرائه كلية لم يجد مناصا من
استدعاء جنوده مرة أخرى للمحافظة على النظام .

بعد الطابور جاء فلافي الى حجرة ريان ليبلغه أن الكولونيل
بـتجاليا يطلب مقابلته ثم قال له :

— ان أخبر هذا الصباح حسنة اليس كذلك ؟

فرد ريان :

— نعم لكن مع أي جانب أنت ؟

— مع ايطاليا ولست مع النازيين والفاشيست .

— حسنا هيا بنا فالكولونيل بتجاليا ينتظر .

حينما دخل ريان على الكولونيل بتجاليا كان الأخير يجلس
على مكتبه والشرر يتطاير من عينيه وقال محنقا حينما رأى ريان :

— كولونيل ريان . . ألم تضمن لي حسن سير الأسرى وسلوكهم
إذا تعاونت معك ؟

— انك لم تعطنا ما ليس حقنا بمقتضى ميثاق جنيف .

— حسنا . لقد خذلتنا أولا بحرق الملابس وثانيا بعدم المحافظة
على النظام بعد الافراج عنك . والآن أريد أن أحذرك ان مركزكم
مهم للغاية فجيوشكم على أرضنا وكل من يعتقد أنه بذلك انتصير
ويستطيع مخالفة النظام سيعاقب عقابا شديدا .

— وما الذي تنتظره مني ؟

— عليك المحافظة على النظام بأي شكل .

— هل تهددني ؟

— نعم وعليك تقع مسئولية ما يحدث .

— ولكنك قد أضعفت سلطاتي على الأسرى فقد عاقبتهم على
أقل شيء أشرت أنا به عليهم . وأنا لا اعترض على عقابك لى ولكنى
اعترض على عقابهم هم .

— لا تحاول اقتناصى أو التدخل فى شئونى فانا أعلم تماما أنك
سمحت للفوضى بالانتشار وأغفيت عينك عن النظافة حتى تستطيع
أن تتساهم معى • ولكنى لن أسمح بذلك • فبلدى تمر بفترة عصيبة
وأنا أريدك أن تقدر ضرورة المحافظة على النظام هنا فى مثل هذه
الظروف • والآن تستطيع الانصراف •

حين خرج ريان توجه الى فينشام وقال له :

— ادع الأسرى الى خارج العنابر فانا أريد التحدث معهم •

وابتسم فينشام وقال له :

— أنهم لن يطيعوا •

— فينشام لقد أصدرت اليك أمرا عليك تنفيذه •

بعد فترة ليست بالقصيرة تجمع الأسرى فى صفوف غير منتظمة
ووقفوا يتحدثون فقد اعتادوا ذلك بعد فترة غياب ريان •

وقف ريان على كرسيه فى الوسط ثم قال :

— سادتى • لقد خان ميعاد العمل •

الفصل التاسع

انهم فينشام ريان بالتعاون مع الاعداء ذلك أن عودة النظام الى
المعسكر أتبعها عودة علب الأكل الكاملة • ولكن ريان حاول أن يفسر
له وللميجور ويمبرلى بعض ماخفى عنهما حينما اجتمعا في حجرته
فقال :

— لقد منحنا بتجاليا العلب الكاملة لأنه يعلم أن الهزيمة التي
لحقت بالجيش الإيطالي ستجعل الجو متوترا • وهو يعلم أن أى تمرد
يعنى القضاء علينا جميعا •

وتعملل ويمبرلى فى مكانه فقد كان يكره تلك المناقشات الحادة
بين ريان وفينشام ذلك أنه كان يخشى أن يطلب منه مساندة
أحدهما •

واكمل ريان حديثه غير عابىء بتعليقات فينشام اللاذعة :

— اننى وبتجاليا لانعلم كيف ستسير الأمور • فقد ينزل جنودنا
الى الشمال وننقل بسرعة أولا ينزلون ويكتفون بالجندوب وهنا
سنضطر للبقاء أسابيع قد يصل الألمان خلالها ونصبح اسرى لهم •
ومن ثم يجب أن نركز كل جهودنا لمصرفة ما اذا كان الإيطاليون
سيحاولون نقلنا من هنا اذا ما اقتربت قواتنا •

— وهل تعتقد أنهم قد يحاولون نقلنا فعلا ؟

— طبعاً أنا أفضل البقاء هنا حتى نعود الى الوطن ولكنى لا أدري

كيف سيتصرفون ان لدى بعض الخطط ولكنى اريد سماع آرائكم
اولا .

وتساعل فينشام

— هل تعتقد اننا قد نضطر الى الهرب كلنا معا ؟ .

— ان ذلك لن يجدى فسيضيعنا الالمان . يجب ان يكون هروبا
مستورا .

— اعنى عبر النفق ؟ .

— نعم يجب الاسراع فى العامه . اريد خريطة للمنطقة هنا .
واريد نسخة منها لكل قائد فريق . واريد مراقبة الطريق العام
حتى نعرف كل مايجرى حولنا وتدوين كل شيء .

ورد فينشام

— حسنا سأضع بعض رجالى فى أعلى العنبر «ج» فهناك
يبدو اجزاء من الشارع ونستطيع رؤية أية تحركات عسكرية .
وأجاب ريان :

— حسنا سأحاول اقناع القسيس باستقصاء بعض المعلومات
من قلافى .

انفض الجميع كل اهتمته وذهب ريان لمقابلة القسيس وحين رآه
يتجول فى الفناء قال له :

— ابت اننى فى حاجة اليك .

— ماذا تطلب يابنى .

— اريدك ان تكون دائما بالقرب من قلافى . على ان نحاول
التحدث معه من الاحداث الجارية . ذلك اننا نريد ان نعرف بأسرع
ما يمكن ما اذا كان الايطاليون سيحولونا من هنا .

— حسنا يابنى سأحاول و . . .

بحركة ريان وتوجهه الى المطبخ ثم وجه حديثه الى برسفورد فقال :

— من الآن فصاعدا عليك بالاحتفاظ بكل الشيكولاته ونصف
المسكر والبسكويت الذى نحصل عليه من الصليب الأحمر . والامتناع
ركلية عن تقديم البقول والفاكهة المجففة . على أن تحتفظ هذه المواد
إلى علب الصفيح الفارغة وتوزع على رؤساء الفرق . على أن تحتفظ
بمسجل وإف لكل ماططيه .

— سيدى ولكن ذلك يعنى اننا لن نأكل حلوى يوم الاحد .
— لا بأس فالخلى لاتهم كثيرا الآن .

وفى الايام التالية لم تصلهم أية أنباء سواء من ملاحظى الطريق
أو من اقوال فلافى بينما سار العمل فى النفق بأسرع ما يمكن . وقد
قررت لجنة الهرب ان النفق قد يصل خارج السور بعد عشرة
أيام .

وبعد مرور خمسة ايام من نزول قوات الحلفاء فى الجنوب
استدعى الكولونيل بتجاليا ريان :

وحين ذهب ريان لمقابلته وجده يجلس فى حجرته مكتنبا ولم
يرحب به وأخيرا قال :

— كولونيل ريان انه لمن سوء حظى ان أخبرك ان ايطاليا قد
استسلمت .

وتمالك ريان نفسه فلم يصرخ فرحا بل قال بهدوء :

— كولونيل بتجاليا . لعل ذلك يخفف من حدة الخسائر التى
منيت بها بلدكم وأنا أقدر واحترم شعورك .

واكمل الكولونيل بتجاليا حديثه المشحون بالشجن وقال :

— ان الميجور اوريانى وحده يعلم ماحدث . وفى خلال ساعدا
سوف أخبر باقى الجنود وآمل أن تخبر أنت الاسرى فى الوقت
نفسه . وان تراعى علم جنود أية اشكالات أو حوادث .

— حسنا أملك بذلك . . ولكن ماذا بشأن انضمامنا لقواتنا ؟

- انثى لم اطلق اوامر بشأن ذلك بعد ومن ثم فانا مسئول عن سلامة الجميع حتى يتم التصرف فى شئونكم .

- حسنا ستسير الأمور كما كانت . وبعد اطلاع ضباطى على آخر تطورات الموقف سأحضر اليك لتتحدث فى شئون ادارة هذا المعسكر . وأطلب الظن اننا سنكون فى حاجة لمعاونتك . وأنا اعدك اننا سنحسن معاملتكم اذا ما جاءت جيوش الحلفاء .

- لايهم ما يحدث لى ولكنى آمل أن تبسط حمايتك لجنودى بالشعور بالمرارة متفشى بين الأسرى وقد يعتدون على الايطاليين .
- اعدك بذلك وسأعود اليك . للتفاهم حالما انتهى من اخبار الأسرى .

خرج ريان مسرعا واستدعى فينشام وويمبرلى والقسيس وبترسون ثم قال للآخر .

- عليك الوقوف بالباب ولا تسمح لاي شخص بالاقتراب فاذا بماضيقوك فنادى بأعلى صوتك .

وساد التوتر داخل الحجرة وبادره فينشام بالسؤال :
- ماذا حدث ؟؟ هيا أخبرنا سريعا . ماذا حدث ؟؟؟ لماذا استدعاك بتجاليا ؟؟

وقال ريان بهدوء وهو يحاول التماسك :
- سادتي لقد استسلمت ايطاليا .

صرخ فينشام وقفز ويمبرلى من مكانه وخفض القسيس رأسه الى صلاة شكر .

انتظر ريان حتى سكنوا ثم قال :
- سيخبر بتجاليا جنوده فى ظرف ساعة وعلى أن أخبر باقى الأسرى فى نفس الوقت .

وسأله ويمبرلى خجلا :
- سيدى ومتى نرحل ؟؟

— أن بتجالياً نفسه لا يعلم بعدة .. والآن أريدكم أن تجميعوا
الأسرى في صالة الأكل ولا أريد أن يتفوه أى منكم بكلمة للأسرى ..
والآن هيا بنا ..

كان القسيس ما زال يصلى وحين انتهى قال له ريان ؟
— أبت .. بعد إذاعة النبا مستقودنا في صلاة شكر ..
وابتسم القسيس وقال :
— هل اجتاحتك نور الايمان فجأة أم انك تحبذ الصلاة لتمتع
الثورة ؟ ..

— قليل من هذا وقليل من ذاك ..
بعد انصرفهم استدعى ريان بترسون الذى كان يقف في مكانه
للحراسة وقال له :

— يلى .. لقد استسلمت ايطاليا ..
وفتح بترسون فاه ولم ينطق .. ثم ابتسم وصرخ :
— ماذا حدث ؟ .. هل صغقت لأنى خاطبتك باسم الدال ؟ ..
— سيدى .. نعم .. ولكن .. لم أكن اتوقع أن تستسلم
بهذه السرعة ..

انتظر ريان الى أن تجمع الرجال واستدعاه فينشام .. كانت
القاعة بضيق بهم ويقلقهم المتزايد .. وحين دخل ريان مكثوا في
انتظار تعليماته فقال :

— سادتى أرجو أن تتصرفوا بهدوء الناضجين حيال ما سأخبركم
به ..

— سادتى .. لقد استسلمت ايطاليا ..
ولفترة عم سيكون قاتل ثم فجأة ارتفعت الصرخات المدوية
والنكات والضحكات وبدأ الأسرى يتصافحون ويربتون على اكتاف
بعضهم البعض .. وحينما خفت أصواتهم بعد فترة قصيرة سمعت

أصوات الرمح من الجنود الإيطاليين . ذاك أن الإيطاليين أنفسهم لم يكونوا مقتنعين بهذه الحرب . وحينما سكنت الأصوات كلية استأنف ريان حديثه :

• منتهى الحديث في التفاصيل بعد أن يقودنا الأب القسيس في صلاة شكر .

بعد الانتهاء من الصلاة الجماعية واجه ريان الأسرى فقال :

« - ائني لا أعلم متى نستطيع الرحيل من هنا . فخرج الف أمير مرة واحدة في بلد استسلمت منذ ساعات قد يكون مثيرا للشعب المهزوم بل وقد يندفع في محاولات للتخلص منا أو الاعتداء علينا . » . والآن سادتي يمكنكم الانصراف في هدوء . . علي ان يبقى رؤساء الفرق للتشاور . »

انصرف الأسرى وهم ينشدون بعض أناشيدهم الوطنية وأغلق
بقرسون باب صالة الأكل وواجه ريان رؤساء الفرق *

الفصل العاشر

كان رؤساء الفرق يجلسون قلقين في انتظار باقى تعليمات ريان • فبدأ حديثه :

- فينشام وويمبلى أرجو أن ترسلوا أحسن ضباط اللاسلكى لديكم الى مقر بتجاليا ليحاولوا الاتصال بقوات الحلفاء على أن يكون ذلك دون لفت نظر الألمان الى مكاننا • أما أنت يا ميجور جريسلس فمليك بإحضار بعض الأنفار لكى ينقلوا معونة الصليب الأحمر الى داخل المعسكر • على أن يقوم بعض الجنود الايطاليين بالحراسة الى حالة ما اذا مر بنا بعض الألمان •

وتساءل أحدهم :

- وماذا عن النفق ؟

- استمروا فقد تضطربنا الظروف اليه • • أما أنت يا دكتور فستين فمليك برصد أسماء كل الأسرى الذين يحتاجون الى رعاية طبية حتى تقوم بذلك فى أسرع وقت •

واقترب القسيس وقال على استحياء :

- سيدى الكولونيل اننى لم أذهب الى الكنيسة منذ أكثر من عشرة شهور فهل تسمح لى بالذهاب الى دوميرا للصلاة فى كنيسةها ؟

- لا بأس على أن تذهب بملابس اللاهوت • عليك أثناء ذلك استقصاء اية اخبار ترى أنها قد تهمنا •

— حسنا يا سيدى وشكرا ١٥

واكمل ريان حديثه لبقية الضباط فقال :

— سادتى اريدكم ان تبذلوا قصارى جهدكم حتى يسود النظام
واخبروا الأسرى أن أى واحد منهم يفكر فى الهرب أو فى الذهاب
إلى دوميرا يعرض نفسه لمحاكمة عسكرية بعد انتهاء الحرب ١٥
وتسأل فينشام :

— وماذا عن الحراس الايطاليين هل سيستمرون فى تهديدنا
بالسلاح ؟

— كلا وأرجو ألا تثقلوا عليهم كفاهم ما بهم من ذل الهزيمة
١٥. والآن سادتى الى اللقاء .

انفض الجمع وخرج فينشام وريان الى فناء المعسكر حيث
تجمهر بعض الأسرى وبعض الجنود الايطاليين يراقبون عملية
نقل معونة الصليب الأحمر . وفجأة ظهر أوريانى وساد التوتى
فيبدأ الأسرى ينتقون الشتائم اللاذعة والاتهامات المخجلة ويصبونها
عليه . واقترب ريان وقال له ساخطا :

— ميجور . ألا ترى خطورة ظهورك الآن ؟

وابتسم أوريانى ابتسامة مأكرة وقال :

— لقد كنت أتوقع أن يتصرف رجالك كاسياد لا كحيوانات ١٥

وقاطع فينشام محتدا وقد شمر عن ساعديه :

— ساريك كيف يتصرف السادة يا ١٥.٠٠

وامسك فينشام بتلابيب أوريانى وبدأت معركة شديدة
الجميع واجمين وأخيرا تدخل ريان وأبعد فينشام وامسك بأوريانى
وقال له :

— اخرج من هنا وإياك والحضور دون أن استدعيك فوجودك
هنا خطر عليك وعلى جنودك وعلى ضباطى هيا . ثم وجه ريانا

حديثه للأسرى : « اذا جرؤ أحدكم على تخفية ذلك الباب ومتابعة الميجور سيقدم للمحاكمة قورا » .

ورغم أن ريان كان يهدد للمرة الأولى فإن الرجال لم يلاحظوا ذلك بل بدأوا يتراجعون في هدوء وذلك أنهم كانوا قد اعتادوا طاعته . أما فينشام فقد اقترب منه وقال له محنقا :

— لم فعلت ذلك ؟

— حينما تعود الى وعيك ستشكرنى فقد أنقذتك من قتله والتعرض لمحاكمة عسكرية .

اتجه ريان الى بنجاليا وطلب منه ضرورة الاتصال بقادته لسؤالهم عن كيفية تصرفه حيال الأسرى . وذلك أن ضباط اللاسلكي الذين كلفهم ريان بالاتصال بجيوش الحلفاء لم يصيبهم النجاح .

حينما عاد القسيس في المساء أخبر ريان بأن الإيطاليين أحسنوا معاملته وأنه رأى كثيرا من القوات الألمانية .

وفى الصباح التالى استيقظ ريان مبكرا وخرج من حجرته يستنشق هواء الصباح العليل . ونظر حوله كان المكان خاليا لأول مرة منذ حضوره ولم يكن يسمع فيه أى صوت رغم أن المبانى كانت مليئة بالأسرى والجنود . ولكن الهدوء كان شاملا . وأحس ريان أن هذا الهدوء غير طبيعى فذهب الى البوابة فلم يجد عليها حراسا واتجه الى باقى أكشاك الحراسة فوجدها خالية . واذا هو يفكر ؟ رأى الملازم فلافى يجرى نحوه دون أن يكمل ارتداء ملابسه فيأمره بسؤاله :

— ماذا حدث ؟ . أين الحراس ؟ .

— لقد غادر الجميع المعسكر أثناء الليل . وكذلك فعل الكولونيل بنجاليا ولكنه سيعود حالا .

ذهب ريان الى فينشام وأبقظه ثم اصطحبه الى بتجاليا الذي
كان قد حضر توا . فسأله ريان :

— ماذا حدث ؟ . لماذا هجر جنودك أماكنهم ؟ .

— لا أدري . . انه شيء مخجل للغاية .

وتدخل فينشام فقال :

— لابد ان أورياني أقنعهم باصطحابه وليحارب مع الألمان .

— لا اعتقد فأورياني لم يكن محبوبا ثم ان قليلا جدا من الحراس
يؤمنون بالفاشية .

— حسنا كولونيل بتجاليا . . هل تعتقد ان الألمان قد يصلون

الينا ، ويرحاون من هنا ؟ .

— لا اعتقد انهم سيرحلون فذلك امر صعب للغاية فكل وسائل
النقل مشغولة في نقل جنودهم وعتادهم .

— إذن بما أننا سنبقى فضع بعض جنودى بملابس ايطالية

ليقفوا مكان الحراس على أن تعطينى كلمة شرية ، ألا تجعل الألمان فى
دوميرا يحسون ذلك .

— حسنا . .

انصرف فينشام وريان وقال فينشام :

— ما جدوى بقاءنا هنا ؟ .

— ان عددنا كبير وظهورنا الآن كما سبق أن قلت خطر . فليس

أماننا سوى الانتظار ولو لفترة الأربع والعشرين ساعة التالية فإذا

لم تصلنا أية انباء من قوات الحلفاء فلدى خطة سننفذها لمغادرة

هذا المكان فى مجموعات . هل لديك اعتراض على ذلك ؟ .

— ما هذه الخطة ؟ .

— سنغادر هذا المكان فى النهار . يحرسنا بعض جنودنا فى

بؤى الايطاليين وسنصحب معنا فلانى فإذا ما سئل قال انه يصحبنا

الى معسكر آخر للأسرى وبعد مقادرة ذوحيرا ننتقسم الى عدة
مجموعات كل تشق طريقها الى قوات الحلفاء فى الجنوب .

- ولم لا نفعل ذلك الآن ؟ .

- لأنها خطة خطيرة قد تعرض حياة الكثيرين للخطر ولن نلجأ
اليها الا فى الضرورة . وذلك اذا لم تصلنا أية انباء فى ظرف أربع
وعشرين ساعة .

- حسنا سامنحك هذه الفرصة وأوافق .

فى تلك الليلة نام الأسرى البريطانيون والأمريكيون فى حراسة
وملائهم الذين أعطاهم ريان أسلحة وذخيرة وأمرهم باستدعائه اذا
ما حاول أحد الأسرى الهرب أو أحد الأفراب الاقترب من المعسكر .

الفصل الحادى عشر

- أمبتيقظ ريان على صوت يهمس فى أذنه ويقول :
- هل أنت الكولونيل ريان ؟
 - من أنت ؟
 - كان الظلام حالكا فلم يستطع ريان تبين ملامحه
 - أنا الميجور هامبتون
 - ولكن لا يوجد ميجور هامبتون فى المعسكر ٢٠٢ من أنت ؟
 - أنا الميجور هامبتون
 - هل أنت الكولونيل جوزيف ريان
 - نعم من أين أتيت ؟
 - عبر الحائط
 - وبسط يده التى كانت تنزف ثم قال :
 - ان احدا لم يهتم بأخبارى بكسر الزجاج على السور
 - ولماذا جئت ؟
 - سيدى ان لدى أوامر من قوات الحلفاء
 - حسنا وكيف عرفت مكانى ؟
 - لقد أيقظت أحدهم فى أحد العنابر
 - هل لديك دليل على أقوالك وشخصيتك ؟
 - كلا ولكنى أمريكى بلا شك وتستطيع ان تسألنى عن أى شيء
 - نبراسكا بلدتى
 - حسنا ما اسم فريق كرة القدم بها ؟

- كورنهيكرز وفريق كاليغورنا اسمه كولدبير وفريق تكساس
اسمه

- هذا فيه الكفاية ومرحبا بك في المعسكر ٢٠٢ •

- سيدي انني اكاد اموت عطشا •

- حسنا خذ هذه •

واعطاه ريان زجاجة ماء كان يحتفظ بها بالقرب من سريره
ثم سأله :

- والآن ما هي التعليمات •

وبدا الميجور هامبتون يذكر التعليمات كما لو كان قد حفظها
عن ظهر قلب فقال :

- تدل رسائل اللاسلكي الألمانية التي استطعنا التقاطها أن هذه
المنطقة سوف تخلو من القوات الألمانية في ظرف ثلاثة أيام •
وقاطعه ريان متسائلا :

- ثلاثة أيام منذ تركتهم أم منذ وصولك اليوم •

- من اليوم يا سيدي • هذا ويطلب قادة جيوش الحلفاء
بالبقاء هنا ساكنين حتى يتم اخلاء المنطقة من الألمان • على ألا نثيروا
من الشعب ما يلفت اليكم الأنظار ، كالتنازع بالألفاظ أمام القوات
المترجمة و

- هل يعتقد الرؤساء اننا قد نثير أو نهين القوات المهزومة
أو المترجمة فنجر على نفسنا الويل • ان قادتك أمرهم عجيب حقا •

- هذا صحيح وقد عجبت أنا نفسي لهذا الأمر • ولكنها
التعليمات يا سيدي وإخيرا فان السلطات تهنتكم بالحرية •

نظر ريان الى ساعته كانت حوالي الخامسة صباحا • والتفت
ريان الى ميجور هامبتون وقال له :

- ثم في سريري • فلدى الكثير من الأعمال وساعدو الطبيب
لهي يدك •

— انها على ما يرام فقد كنت قى عجلة من امرى • ذلك اننى لم اكن اعرف ان كان الحراس ايطاليين أم ألمان •

— انهم بريطانيون وأمريكيون •

— ماذا ؟ •

— ان مخبراتكم متاخرة أربعا وعشرين ساعة فقد هجر الحراس الايطاليون المعسكر ليلة أمس • وقد وضعت بعض الأسرى مكانهم والبستهم ملابس ايطالية حتى نخدع قوات الألمان المتراجعة •

— انها خطة رائعة وستمنع الألمان من التدخل •

— أملى كبير فى ذلك على الأقل الآن وبعد ان امرنا بالبقاء •

ارتدى ريان ملابس بسرعة وجرى الى عنبر بترسون ثم أيقظه بهدوء ووضع يده على فمه حينما كان على وشك الصراخ من الدهشة • ثم امره بايقاظ الدكتور شتاين وارسله الى حجرته ثم ايقاظ ويمبرلى واحضاره الى حجرة فينشام •

جرى ريان الى حجرة فينشام وأيقظه وقص عليه ما حدث ثم عاد وقص علينا ما حدث مرة أخرى حينما جاء ويمبرلى وبترسون •

وأخيرا قال فينشام :

— ارى ألا نلتفت الى الميجور هامبتون ونقوم بتنفيذ خطتنا السابقة •

— وتجاهل تعليمات الرؤساء التى تبدو لى معقولة ؟ كلا فليس لدينا الآن سوى الطاعة •

حينما أشرقت شمس الصباح كان الضابط الذى أيقظه هامبتون ليسأله عن مكان ريان قد أذاع ما حدث وحينما حان ميعاد طابور الصباح اصطف الأسرى بسرعة وفى غير نظام وبدت على وجوههم آثار القلق • ولأول مرة تجاهل ريان النظام ووقف على كمرسيه كالعادة ووجه حديثه لهم :

— لقد جادنى اليوم ضيف عزيز من قوات الحلفاء • وهم يدبرون أمر رحيلنا من هنا فى مدى ثلاثة أيام •

وانتظر ريان فترة الى أن خفت ضجة الأسرى ثم أكمل حديثه :
- ان الألمان يتراجعون وأى واحد منكم يلفت نظرهم الى هذا المكان سوف يحاكم بتهمة الخيانة والتعامل مع الأعداء • وأملى كبير في أن تحافظوا على الهدوء ولا تعلقوا بأصوات عالية على الجيوش المنسحبة والآن يمكنكم الانصراف وأملى كبير في أن تحافظوا على الهدوء •

صر الكولونيل بتجاليا ايما سرور حينما أخبره ريان بالتعليمات التي وصلتته وذلك لأنه كان لا يريد البقاء في معسكر فقد فيه سلطته وان لم يفقد احترامه •

حينما انتهى ريان من مقابلة بتجاليا كان بوسفورد ينتظره ليسأله ما اذا كان من الممكن استعمال المواد المخزونة في اقامة حفل من الطعام الشهى :
ورد ريان مبتسما :

- لا حاجة بنا الى أى مخزون • فبعد يومين ننضم الى جيوشنا ••• ولا تنس أن تجعله حفلا ممتازا •

امضى الميجور هامبتون صباح اليوم التالي في النوم وحينما استيقظ قرب الظهيرة اصططحبه ريان معه الى صالة الأكل •
أثناء تناول الطعام تساءل هامبتون :

- هل تأكلون هذا الطعام الفاخر كل يوم ؟ •

- طبعا لا فما تأكله الآن هو ما نأكله عادة في بضعة أيام ولكننا اليوم نحتفل بالأخبار السعيدة التي حملتها اليينا •

بعد الغذاء التف الأسرى حوله وأطروه بأسئلتهم عن الحالة الراهنة وموقف جيوش الحلفاء وانتصاراتهم الأخيرة ثم تحولت أسئلتهم الى الرياضة وآخر مباريات البيسبول ومن الذى انتصر • وآخر أخبار هوليوود وهل صحيح أن أمريكا تعاني نقصا في الرجال وأن لكل رجل عائد امرأتين و ••• و •••

وبعد الغداء سأل هامبتون ريان اذا كان لديه أية رسالة يريد
توصيلها لقوات الحلفاء •

قال ريان متحمسا :

— قل لهم أن يسرعوا وأخبرهم اننا جميعا بخير •

وحينما حل المساء رحل الميجور هامبتون متسترا •

فى اليوم التالى أعفى ريان الأسرى من القيام بالعابهم الرياضية
وبذل مجهودا وعناية أكبر فى التفتيش عليهم قائلا لهم انه يريد
أن يتركوا المعسكر فى هيئة ضباط محترمين • ومن ثم أمضوا
اليومين التاليين فى رتق ملابسهم وقص شعورهم وحلق ذقونهم
والحديث الذى لا ينقطع عن سفرهم وأسرههم وقوات الحلفاء ثم القلق
والتوتر والانتظار •

الفصل الثاني عشر

فى الصباح الثالث استيقظ ريان وباقي الأسرى على صرخات الجنود الذين يستيقظون مبكرين ليعدوا الافطار • كانت هذه الصرخات بسبب محاصرة الجنود الألمان للمعسكر •

والتفت الأسرى حول ريان يمحطرونه بأسئلتهم الصاخبة المحنقة واقترب فينشام وكان على وشك اثاره مناقشة حادة مع ريان لولا رؤيته لعيون الأسرى الغاضبة ووجه ريان الممتقع •

— احضر لى الكرسي يا بترسون •

ولكن بترسون لم يتحرك بل بدأ فى الصراخ والثورة •
— لقد قلت لنا انهم سينقذوننا •• لقد وعدتنا •• لقد

قلت انهم ولا بد آتون •

اقترب بوشتيك وصفع بترسون ثم حمله الى حجرته فقد كان يخشى تأثير كلامه على باقي الأسرى •

لم يعلق ريان على ذلك بشئ ولكنه التفت الى الدكتور شتاين الذى كان يقف الى جواره وقال له :

— اذهب اليه وارعه •

ثم نظر ريان الى باقي الأسرى وبدأ يحاول تهدئتهم •

— سأذهب الى بيتجاليا وأستفسر منه عما حدث وأخبركم • والآن

أريدكم جميعا فى العنابر ولا أريد أى شغب و •••••

وقاطعه أورد فقال :

— هاهم آتون ؟

نظر الجميع الى حيث أشار أورد فراوا الملازم فلافي يصعبه
اثنان من الالمان المسلحين والملازم كارتر الذى كان يرتدى زى
الحراس الايطاليين • اقترب فلافي من ريان وقال له :

— لقد جاوا أثناء الليل والكلونيل بتجاليا ينتظر ك حالا •

اصطحب ريان كارتر وفلافي الى حجرته وأخذ يستفسر منهم
أثناء ارتداء ملابسهم • وبدأ كارتر الحديث فقال :

— لقد جاء الالمان أثناء الليل وقبضوا علينا جميعا فجأة ولم يدعوا
لنا أية فرصة لابلاغكم بما حدث • ووضعونا بعسد ذلك فى مقر
القيادة الايطالية وأعطونا افطارا طيبا وقد ضحكوا كثيرا حينما راوا
الحراس البريطانيين والأمريكيين يرتدون ملابس ايطالية •

وسأله ريان :

— ملازم كارتر هل تفهم الألمانية ؟

— كلا •

— هل رأيت فى تصرفات الالمان ما قد ينبىء عن نواياهم •

— كلا وقد أحسنوا معاملتنا على أية حال •

حينما غادر ريان حجرته كان كل الأسرى فى الخارج ينتظرونه
ولم يعيروا قوله السابق بالبقاء فى عنابرهم أية اهتمام •

اتجه ريان الى مقر بتجاليا الذى ظهرت عليه علامات القلق
والضيق وقد جلس بجواره أحد الضباط الالمان • وقال بتجاليا :

— هذا هو الكلونيل سبوتزل وهو يريد التحدث معك •

قال سبوتزل :

— اننى آسف لاضطرارى التحفظ على اتباعك ولكن لا ترى انه
من الأضمن لسلامتنا ألا نترك خلفنا هذا العدد الضخم من الجنود
الاعداء بلا حراسة ؟ •

— وماذا يحدث بعد انسحابكم ؟ •

— استبقوا حيث انتم فليس لدينا وسائل نقل كافية لنا .

بعد انتهاء الزيارة خرج ريان وأخبر الأسرى انهم سيقبضون هنا حتى ينتهي انسحاب القوات الالمانية ثم بعد ذلك يوضعون تحت الحراسة الإيطالية او يسرحون .. ورغم شك ريان فى اقوال سبوتزل حاول قدر الامكان اقناع الأسرى بالبقاء ساكنين بلا شغب ولا محاولات للهرب فقد كان يعلم ان الهرب الآن يعتبر انتحارا جماعيا . ذلك ان سبوتزل كان يقود مائة وثلاثين من الحراس المسلحين .

وفى مساء اليوم نفسه استؤنف العمل فى النفق وفى مساء اليوم التالى كان النفق على بعد ثلاثة عشر مترا من السور .

وفى الصباح التالى استيقظ الأسرى على صوت طلقات نارية . فقد اكتشف الالمان النفق وقبض على العاملين فيه وبعد عدة دقائق جاء سبوتزل الى حجرة ريان وقال له :

— كولونيل ريان .. لقد جئت أخبرك انك وباقى الأسرى مترحلون من هنا بعد ساعتين وعليكم الاستعداد .

— اذن كنت تكذب حينما قلت اننا لن نرحل .

— سيدى .. اننى اقوم بواجبى تجاه وطنى والآن عليك باستدعاء الأسرى واخبارهم .

كانت الطلقات النارية قد جمعت الأسرى فى الفناء فى محاولة بائسة لاستجلاء ما حدث . ووقف ريان وسط الجوع وطاب منهم السكون لكى يستمعوا الى ما يقوله سبوتزل .

وفجأة ظهر الميجور أوربانى بعنجهيته وقسوة نظرائه . كان الجو مشحونا بالثورة . واطلق ظهور أوربانى الشرارة . فشارت الجموع ووقف أوربانى هادئا .. ثم قال أخيرا :

— يؤسفنى ان أبغكم ان الكولونيل بتجاليا قد انتحر حينما عرف ان ...

ـ وأوقفه سبوتزل بإشارة من يده .. ذلك ان استمراره فى الحديث كان يثير الأسرى أكثر . وأخيرا قال سبوتزل :

ـ سادى .. بعد أن اكتشفنا النفق نرى أن سلامتكم مستلزم تقلكم من هنا فى مدى ساعتين .. عليكم بالاستعداد وتناول الإفطار .

ثارت الجموع ووقف ريان فى وسطهم وقال :

ـ على الصاملين فى المطبخ تقديم الإفطار بأسرع ما يمكن ثم تقسيم باقى مواد التموين على رؤساء الفرق بالتساوى على أن يوزعها هؤلاء على الأفراد . كذلك عليكم بالاستعداد حالا فلا نضيع أى وقت .

انفضت الجماهير الساخطة وذهب ريان الى حجرته ليجمع حاجياته وجاءه فلانى والدموع فى عينيه وقال :

ـ لعلك عرفت مدى دناءة أوريانى .. لقد رشى الحراس الإيطاليين لكي يهربوا ثم أخبر القوات الألمانية بأنكم هنا بلا حراسة لقد كان هو السبب ذلك الخائن .. لقد انضم الى الأعداء ولكنى أعدك يا سيدى أننى سوف أقتله انتقاما .

وقاطعه ريان :

ـ ولكن ميجور هامبتون جاءنى وطلب منى البقاء هنا فكيف سكتت قواتنا ولماذا تأخرت ؟

ـ ان الكولونيل هامبتون من الأعداء فالألمان يجيدون التنكر وقد كانت هذه خطة أوريانى لابقائكم حتى يستعد الألمان لمحاصرتك . وقد كان السبب كذلك فى انتحار بتجاليا الذى أحس أن جنوده قد خذلوه أمامكم . ولكنى أعدك أننى سوف أقتله .

ـ ان قتله لن يساعدنا أو يساعدكم فإذا كنت حقيقة تكره الألمان وتريد مساعدتنا عليك بمحاولة إبلاغ سلطات الحلفاء بما حدث لنا ثم تذهب الى الجبال وتحارب الألمان .

الفصل الثالث عشر

تجمع الأسرى بعد ساعتين وبدأ سبوتزل وأورباتي في عذبهم وتسجيل أسمائهم ثم وضعوا جميعا في عربات سارت بهم متباطئة في الشوارع . كان المدنيون يحيونهم ويلوحسون بأيديهم الا أن الأسرى لم يكونوا في حالة تسمح لهم برد التحية .

وحينما وصلوا أخيرا الى المحطة بدأ سبوتزل ومساعداه كلمنت وبمعونة ريان في توزيع الأسرى على العربات وكان ريان يراعى وضع أحد رؤساء الفرق في كل عربة حتى يستطيعوا السيطرة على الأسرى .

كان الأسرى ساخطين ولكن بترسون لم يكن يستطيع التحكم في أعصابه ومن ثم جرى بكل ثورته نحو باب المحطة وفجأة سمعت أصوات طلقات نارية سقط بترسون على الرها على الأرض مضرجا بدمائه وزادت ثورة الأسرى وزاد كرههم لللمان الذين قتلوا عمدا وأمام أعينهم زميلا لهم . واقترب ريان من جثته وقال هامسا :

— بترسون صغيرى سأنتقم لك .. أعدك بشرفى أن انتقم .

واقترب فينشام وقال لريان :

— لو أنك استمعت لنصيحى وهربنا حينما كان المستر خاليا

من الحراس ما كان يحدث ذلك ..

لم يعلق ريان فقد كأن لائرا ولكنه مع ذلك أرغم على اكمال

توزيع الأسرى على العربات وقد قال فينشام وويان والمسييس والطبيب العربية الأولى وكلمنت (المستول عن القطار) وتابعه عامل اللاسلكي-العربية الثانية ثم بعد ذلك وزع باقي الأسرى على الاثنين والعشرين عربة التالية .

وفي المساء رحل القطار يحمل ألف رجل إلى بلد الأعداء بعيداً عن الحرية إلى ألمانيا النازية ١٥

الفصل الرابع عشر

كان القطار مكونا من ثلاث وعشرين عربة . الأولى بها ريان وفيشام وشتاين والقسيس . والثانية بها القائد الألماني كلمنت وعامل اللاسلكي والثالثة بها خمسة وثلاثون أسيرا وفي كل من العربات الباقية تكدرس أربعة وأربعون أسيرا . وعلى سطح كل عربة كان يجلس حارس يراقب باستثناء العربة الأولى .

كان القطار يسير ببطء ويقف في كل المحطات في انتظار مرور قطار آخر . فقد كان الضغط على وسائل النقل شديدا ولكن ذلك لم يمنع ألمانيا من أن تنقل ألف أسير وتفضلهم على نقل جنودها . فقد كان وجود ألف ضابط أسير في حيازتها سلاح قوى لا تستطيع الاستغناء عنه أو التفريط فيه .

كانت أصوات الأسرى الصاخبة تدوى . وبعد ست ساعات من بدء الرحيل لم يطلق ريان صبرا وطلب من الحارس مصاحبته إلى حجرة كلمنت القائد الألماني . . وقال له :

- أعتقد أن أصوات الأسرى هذه أكبر دعاية سيئة لكم ففي كل البلاد التي تقف عليها تعلن أصوات الأسرى في سخط حقدها عليكم . والطريقة الوحيدة لاسكاتهما هو أولا السماح لهن بالحركة في المحطات لأنهم مكدرسون بشكل غير صحي . ثانيا منحهم كمية من الماء لأن ما معهم نفذ علي ما أعتقد .

سكت القائد كلمنت فترة ثم تحدث مع القسيس الذي ترجم الحديث فقال :

— سيسمح لهم بالنزول في المحطات ولكنه سيقتل عشرة أسرى مقابل كل أسير هارب .

— حسنا . . اخبر باقي الأسرى بذلك ولكن عليك أولا بسؤاله من الماء هذا اذا كان ينوي الوصول بنا الى المانيا احياء .

تردد كلمنت كثيرا فقد كان معه أقل من ثلاثين حارسا لمراقبة ألف رجل ولكنه أخيرا وافق على أن يذهب خمسة رجال من كل عربة لاحتضار الماء لباقي الأسرى وابتسم ريان وقال :

— شكرا يا سيدي القائد . .

ونار فينشام وقال :

— انك تشكره والآن ما عليك الا ان تدموه الى تناول الشاي معك أيها المنافق .

لم يعلق ريان ولكن بعد تحرك القطار اقترب فينشام من ريان وقال له هامسا :

— ريان انت تعلم تماما ان تصرفاتك لا تعجبني ولكننا سوف نضطر الى التعاون حتى تتم لنا النجاة من هنا . لقد فكرت طويلا ان الرقابة علينا قليلة جدا جدا فلا حراس فوق العربة ولا يوجد سوى حارسين يبايها فما عليك الا انتهاز الفرصة والقضاء عليهما ثم القفز من القطار . . ما رأيك ؟

ولم يرد ريان . . فتعجبه فينشام قائلا :

— علينا ان نتفق قبل ان يعتمد بنا القطار عن قوات الحلفاء . واستمر ريان في سكوته ثم قال أخيرا :

— وماذا من باقي الأسرى . . الا تذكر ان كلمنت قال انه سيقتل عشرة منهم مقابل كل أسير هارب ؟ . قد لا يكون صادقا ولكنني مسئول من سلامتهم ولكننا على أية حال نستطيع تدبير الأمر بحيث نهرب جميعا .

— اتعنى نحن والألف أسير الباقين ؟ . ان ذلك لجنون .
ففر ريان حوله ثم قال بصوت عال :

— مستر فينشام احضر لنا ورق اللعب .

بعد لحظات بدأ ريان وفينشام فى توزيع ورق اللعب مما
أثار دهشة القسيسين والحراس . وبدأ اللعب فاترا أول الامر ثم
اشتد الحماس . وأثناء اللعب الصاخب كان يدور حديث هامس
بين ريان وفينشام بداه ريان هامسا :

— علينا أولا بالتخلص من حراسنا ثم حراس العربية التالية
وهكذا حتى نصل الى العربية الأخيرة « ثم بصوت عال « ورق
اللعب هذا مفضوش . سيدى القسيس تعال انظر الى هذه الأوراق
المفضوشة .

اقرب القسيس وقال ريان هامسا وهو يظهر له ورق اللعب :
— حاول ان تعرف من الحراس الى اين يتجه القطار ولكن ليس
الآن مباشرة بل ابق فترة وراقب اللعب .

وبدا ريان يهمس لفينشام مرة أخرى :

— علينا أولا بالتخلص من حراس عربتنا ثم بعد ذلك نهاجم
كلمنت على ان نقيه حيا هو وحامل الاسلحة حتى يساعدونا اذا
ما جد جديد . ثم بعد ذلك نجعل كلمنت ينادى الحارس الجالس
فوق عربته . فاذا ما نزل قبضنا عليه وحللت أنا محله ثم اتجه
الى العربية التالية واتخلص من حارسها ثم أنزله الى العربية حيث
نخرج منه ملابسه ويرتديها احد رجالنا ويقوم بالحراسة بدله
وهكذا وحينما يتم ذلك فى كل العربات نفتح الأبواب ونبدأ فى
القفز والله وحده يعلم متى سيحس السائق والحراس المرافقون
بان القطار خال .

ورفع ريان صوته قائلا :

— فينشام لقد كسبت هذه الجولة فعلا فهل ترغب فى الانتقام
لنفسك ؟ .

ورد كينشام بصوفه الجمهوري المالئ
- بالطبع لقد كان الحظ معك ولكنى ساهمك فى المرة التالية .
ثم همس لريان :
- على أية حال لا نستطيع أن نقرر صلاحية هذه الخطة إلا
بعد أن يصلنا تقرير القسيس .

بعد فترة قصيرة وحديث ذى شجون بين القسيس والحارس
ماد الأب ليقول هامسا :
- لقد أخبرنى الحارس انه سيستمر فى عمله ثمانى عشرة
ساعة وان القطار لن يتوقف فى محطات كثيرة بعد الآن . وان له
مئة أطفال لم يرهم منذ بدأت الحرب . . وأملئ كبير فى ألا
تسيئوا اليه .

- أبت . . دع الحرب لنا واهتم أنت بأمور الدين .
ولكن القسيس كان غير مطمئن بل ويحس بالخجل لأنه
يتجسس على شخص اتمنه .

بعد لحظات بدأ فينشام وريان فى تنفيذ خطتهما . . فهجما
على حارسيهما وبعد لحظة كان الحارسان يسقطان جثتين
هامدين .

وارتعد الدكتور شتاين . . ذلك انه لم يكن معتادا على القتل
الفردى هكذا ولكنه دون أن يتلقى أية تعليمات بدأ يخلع الملابس
من الجثث بينما ارتداها ريان وفينشام ، أما القسيس فقد أخذ
يردد جملة واحدة :

- لقد كان لديه مئة أطفال . . لقد خنته .

كلف ريان الدكتور شتاين بمراقبة الطريق بينما صعد هو
وفينشام الى سطح العربة وجريا حتى وصلا الى باب عربة كلمنت
قتلا حارساه ونزلا اليه .

بهت وجه كلمنت لرؤيته لريان وفينشام فى ملابس جنوده
الألمان ولكن ذلك لم يستمر طويلا اذ عاجله ريان بضربة على

وأما فقدته ألوهي * وكذلك فعل فينشام مع عامل الأسلاك
الحديث السن وبعد فترة قصصيرة جاء شتاين والقسيس الذئب
ابتدرهما قاتلا :

— هل قتلتماهما أيضا ؟ —

— كلا فنحن في حاجة إليهما • شتاين ساعدنا لكي يعودا
إلى رشدتهما سريعا .

بدأ الدكتور مهمته بينما تجول ريان في الحجرة يفحصها
ويبدأ فينشام في تفتيشها ، كانت العربية رغم صغرها مريحة
للغاية . وبها سريران ومائدة عليها عدة بخرايط ومكتب صغير
عليه جهاز إرسال واستقبال وفي أحد الجوانب كانت توجد كمية
كبيرة من علب الطعام وفي الجانب الآخر دورة مياه خاصة .

فحص ريان الخريطة كان طريقهم مبينا عليها من أبروتى حيث
بدأوا إلى أنز بروك في ألمانيا . ولكن القطار صميم يفلورنسا
وفرونا وغيرهما من البلاد التي أحيطت بدائرة حمراء .
بعد فترة بدت طويلة تاب كلمنت إلى رشدته وأجلسه شتاين
وبادره ريان بالأسئلة فقال :

— ما هذه الدوائر الحمراء وعلى أي شيء تدل ؟ .

لم يرد كلمنت بل ظهر الغضب عليه ثم بدأ يحدث القسيس
بالألمانية فقال :

— اننى على استعداد للتفاوض عما حدث والعفو عنهما إذا عادا
إلى مكانهما في العربية الأولى وسأبقى اتهمهما قاتلا أربعة من الحراس .
وحين انتهى القسيس من الترجمة ابتسم ريان وقال :

— لقد ساءت الأمور بما فيه الكفاية . فقد قتلت أربعة
أشخاص ولا نريد أن نقتل المزيد .
» ثم نظر إلى القسيس »
— قل له أن يخبرنا فورا أو نقتله هو الآخر .

ظهر الاستمرازا على وجه كلمنت ولكنه لم يجد مناصا من
الإجابة فقال :

— هذه هي البلاد التي تقف فيها لتلقى المعلومات .
— وماذا عن جهاز الاستقبال هذا ؟

— اننا لا نستعمله في تلقى أو ارسال أية بيانات الا في حالة
الطوارئ التي قد تصادفنا بين المحطات .

— ولماذا أحيطت فيرونا بدائرتين ؟
— هناك يتبادل الحراس .
ابتسم ريان وقال معلقا :

— قد يكون ذلك صحيحا فقد قال لنا الحارس القليل انه
بمستبدال الحراسة بعد ١٨ ساعة واعتقد ان فيرونا تبعد عنا
ساعة .

وقاطعه فينشام متسائلا :
— متى نصل المحطة التالية ؟

رد كلمنت ساخطا :
— بعد ربع ساعة .

كان القسيس يقوم بالترجمة ويحاول قدر الامكان أن يخفف من
حدة الحديث بين الاثنين . فرغم ان كلمنت يعرف الانجليزية الا
انه كان لا يجيدها اذا أجند . والتفت ريان الى فينشام فوجده
ياكل بينما كان شتاين يحاول اسعاف عامل اللاسلكى فقال :

— فينشام . . هذا ليس وقت الطعام .
— هذه هي الفرصة الوحيدة فقد لا نجد غيرها !

— هذا صحيح . أبت . . يمكنك ان تأكل انت الآخر . كذلك
الدكتور شتاين . وبعد الأكل أرجوك يا فينشام أن تخلع ملابس
عامل اللاسلكى لكي يلبسها الأب ويراقب ما سيقوله كلمنت
لرؤسائه في المحطة التالية وعليك بتقييد يدي ورجلي عامل

اللاسلكى ووضعه فى هربتنا الاولى . فاذا ما استأنف القطار سيرة
طيك باطعامه .

— على ان اعمل مربية خاصة له . ولماذا ؟ اتنا لسنا فى حاجة
اليه فلنتخلص منه الآن .

— اتنا لسنا فى حاجة اليه حقا ولكننا لسنا مضطرين الى
قتله .

حينما اتم الجميع طعامهم ارتدى القسيس ملابس عامل
اللاسلكى وبدا مستعدا . وقال له ريان :

— قل لكلمت انه اذا اصدر اى اشارة او حركة تدل على
حقيقة الموقف فسوف نقتله فورا .

لم يحتج كلمت لترجم فقد كان التهديد واضحا فى لهجة
وريان . وبعد لحظات بدأ القطار يقلل من سرعته واستعد الجميع
للعمل .

الفصل الخامس عشر

حينما توقف القطار اتجه ريان الى القسيس وقال له :

— قل لكلمت ان يأمر الحراس بالبقاء حيث هم . واذا ارادوا النزول فليكن ذلك لمدة دقائق فقط يعودون بعدها الى السطح مباشرة . واني ساقف خلفه ومسدسي مصوب الى ظهره وماستعمله بلا ادنى تردد اذا ظهر عليه ما يبين حقيقة الموقف . . . اما انت يا فينشام فعليك بحلق شاربك حتى لا يقصح عن حقيقة شخصك . فالضباط الالمان لا يحتفظون بشواربهم أثناء الحروب .

نزل كلمنت والقسيس وريان في المحطة . وقد كانت محطة صغيرة ولكنها مع ذلك كانت مليئة بأخلاق من الناس . . ولكنها لم تكن من البلاد التي يتلقى فيها كلمنت تعليمات ومن ثم تجولوا في المحطة فترة حاولوا خلالها الا يلفتوا الانتظار اليهم . ثم صعدوا الى القطار ثانية .

حين بدا القطار يتحرك قال ريان لكلمنت :

— ادع الحارس الجالس على العربة التالية .

تردد كلمنت ولكن مسدس ريان المشهر لم يدع له فرصة للهرب فنادى عليه وجاء الحارس فعاجله فينشام بضربة قاضية بجملت وجه كلمنت يتصبب عرقا فقد كان هو السبب المباشر في قتل الحارس ولكن الاحداث السريعة المتلاحقة لم تدعه يسترسل

في الاحساس بالذنب . فسرعان ما تخلع فينشام الملابس هي
الجنة واعطاهما للدكتور شتاين الذي ارتداها وأخفى الجنة تحت
السري .

اما ريان فقد جلب إحدى ملاءات السري ومزقها الى قطعتين
أخذ قطعة معه وقال لصحبته وهو يقف بباب العربة :

— الى اللقاء سادتي ..

صعد ريان الى ظهر العربة ولفحته الريح واهتز توازنه وأحس
ان القطار يسير بأسرع مما كان . كانت المحطة التالية هي تيرونيلا
التي سيصلون اليها بعد نصف ساعة . وفي هذا الوقت كان عليه
أن يتخلص من الحارس فسار ببطء وحذر حتى اقترب منه . .
فقد كان يعلم ان الظلام ليس حالكا بعد ، وان الحارس لو استدار
لفسره حتما . ومن ثم كان عليه أن يعمل سريعا فمقد جزء الملاءة
الذي معه «كانشوطة» ثم رماه بكل قوته فأحاط برقبة الحارس .
ثم جلب الملاءة بشدة وحين أحس ان الحارس قد فارق الحياة
يجذبه على السطح حتى وصل الى مدخل العربة ودفع الباب بقدمه
أففتحه فينشام وسأل :

— هل كل شيء على ما يرام ؟

— نعم وهاكم حارس آخر اخلعوا عنه ملابسه واخفوا جثته .
شتاين راقب كلمنت وأنت يا فينشام اتبعني .

اتجه ريان وفينشام الى العربة الرابعة وبعد ثوان كان فينشام
قد قتل الحارس وجسده الى باب العربة حيث نزل ريان وفتح
الباب . . اذ ان العربات لا تفتح الا من الخارج .
نظر اليه الاسرى . . وأخيرا صرخ :

— أورد ..

— يا الهى . . انه الكولونيل ريان . .

وقال ريان :

— أرجوكم التزموا الصمت .

وسأله أحد الأسرى :

— ولكن كيف خرجت ؟

— أرجوكم ليس لدى وقت للرد على أسئلتكم فأنا والكولونيل
الينشام ننوي الاستيلاء على القطار كله . لن يهرب أحد إلا إذا
هربنا جميعا . مفهوم والآن أنا أريد اثنين منكم لكي يرتديا ملابس
الحراس الألمان مع العلم أن من سيقبض عليه في زي عسكري الماني
سيقتل فوراً .

وسمع صوت بوشتيك يقول :

— لم لا تفعل أنت ذلك يا كولونيل ؟

وفي صمت بليغ أشعل ريان عود ثقاب وقربه من سترته
العسكرية وصاح أحدهم :

— يا الهى . ان الكولونيل ريان قد أصبح فون ريان فعلاً .
وقال بوشتيك متفعلاً :

— سارتندي واحدا . هيا بنا .

وقال أورد :

— وأنا كذلك يا سيدى سارتندي الآخر .

ورد ريان :

— للأسف يا بوشتيك أنت لا تستطيع . لحجم الجثة اصغر
منك بكثير . ولا أنت يا أورد فالجيش الألماني لا يعين رجلاً بعين
واحدة ولكنى أعتك بأن أكلفك بعمل آخر هام لو احتجت اليك .
— شكراً يا سيدى .

وبدا الأسرى يتخاطفون ملابس الحارسين القتيلين . وأخيراً
ارتداها اثنان يمثلان الجثث حجماً وطولاً . وقال ريان لهما :

— سوف تقفان مكان الحارس الذى على عربة كلمنت والذى
على هذه العربة . ولا يوجد حارس على العربة التالية في الوقت
الحالي ولكن يوجد حارس الماني على كل عربة تالية . فإذا

ما توقف القطار عليكم بالبقاء مكانكم والابتعاد قلند الامكان عن أي حارس الماني آخر . والآن هيا بنا .

وانتقل فينشام الى العربية التالية وقضى على حارسها ثم جنب الجثة الى ريان الذي نزل بها الى العربية التالية وأخبر الأسرى بما حدث ثم اختار الملازم كارتر الذي شفى وعاد ليسافر مع باقي الأسرى وطلب منه ارتداء ملابس الحارس وحين صعد الى السطح ثانية سأله فينشام :

— ريان لم لا تقضى على الحراس وترمى جثثهم .

— لأن الجثث ستدل على مكاننا ولأننا في حاجة الى ملابسهم . بعد فترة ليست بالقصيرة أبطأ القطار سيره . فقد كان يقترب من فلورنسا . وبعد فترة توقف تماما وعاد ريان الى عربية كلمنت وقال :

— ان تسعا من العربات عليها حراس بريطانيون وأمريكيون ولم يبق أمامنا سوى ١٤ .
وعلق شتاين قائلا :

— ان الحراس ينزلون في كل محطة للراحة فكيف سنصرف ؟
ابتسم ريان وقال لكلمنت بلهجة مبسطة :

— الآن عليك ان تأمر حراسك الأربعة عشر الباقين بالنزول من ناحية القطار اليمنى وسأمر أنا التسعة الباقين بالنزول في الناحية اليسرى ثم قال لشتاين :

— ما رأيك في هذا الحل ؟ لن يرى الحراس الألمان حراسنا الأسرى ؟

وفجأة جاء فينشام وهو يلهث ووجهه مكفهف وقال بكلمات متقطعة :

— لقد اختفى .

— من ؟

— عامل الاسلحة لقد ربطته في كروبي في العربية الأولى ولكن حين ذهب الى هناك لم أجده .

الفصل السادس عشر

لم يفكر ريان كثيرا بل أمر شتاين بالبقاء مع كلمنت وأمر القسيس بالتوجه الى السائق ومعرفة كم حارس معه وكم سينزلون هنا . ثم اصطحب فينشام وبدأ البحث عن العامل الهارب .

لم يستغرق البحث طويلا فقد اتجه ريان لفحص المنطقة المحيطة بالعربات الاولى بينما ذهب فينشام لفحص مؤخرة القطار الا أن ريان لم يوفق في بحثه فذهب الى فينشام حيث وجده يتف معندلا وعند قدميه جثة العامل . قال فينشام :

— لم يكن من ذلك بد فبقاؤه حيا معناه أن يعرضنا لمشكلة في كل محطة . لقد كان مختفيا تحت العربات أملا في الهرب بعد وحيلنا وحين وجدته لم يستغرق الأمر مني كثيرا .

عاد ريان وفينشام الى حربة القيادة حيث وجدا القسيس في انتظارهما فسألاه :

— ماذا حدث ؟ لماذا طال توقفنا هنا ؟

— لا شيء سوف نضطر للبقاء هنا قليلا حتى يمر القطار القادم ثم نستأنف سيرنا الى فلورنسا حيث نصلها بعد عدة دقائق . .

— حسنا أريدك الآن أن تشرح لكلمنت أن عليه أن يتصرف في فلورنسا كما لو كان كل شيء على ما يرام ثم لا تنس أن تكرر له تهديدي .

بعد لحظات أمر بهم قطار سريع ونحلى الطريق وبدأ قطارهم
يقطعك وبعد عدة دقائق ظهرت عن بعد أنوار مضيئة وقال ريان :
- لا بد أن تكون هذه فلورنسا .

وسرعان ما تأكد طنه فقد توقف القطار وظهرت لافتة كبيرة
لكتب عليها بحروف حمراء «فلورنسا» .

وزاد صراخ الأسرى وتذمرهم في العربات الأخيرة بينما بقي
الأسرى في العربات الأولى ساكنين . وخشى ريان افتتاح الأمن
وخاصة بالنسبة للحراس الذين سيتساءلون حتما من سيقب
هؤلاء الأسرى في العربات الأولى ومن ثم أرسل فينشام الى
العربات الأولى ليطلب من الأسرى إثارة بعض الضجيج خشية
إثارة الشكوك .

وقال القسيس لريان :

- لم لا تسمح لهم بالنزول ؟

- كلا فقد يفكر بعضهم في الهرب وحينئذ نجد الجيش الألماني
كله في أثرنا وما علينا الا الانتظار . والآن هيا بنا ولا تنس أن تترجم
لي كل ما يقوله كلمنت .

نزل ريان والقسيس وكلمنت من العربة وانجهاوا الى حجرة
العمليات ليتلقى كلمنت تعليماته . وهناك دخل كلمنت وتبعه
القسيس اما ريان فقد بقي في الخارج ينتظر على أحر من الجمر
وأخيرا خرجا وفي صحبتهم ناظر المحطة الذي ودعهما بحرارة
ثم انسحب .

تفحص ريان وجه القسيس فرأى عليه ما طمأنه ، اما كلمنت
لقد كان يبدو منهكا حزينا . . وحين عادوا الى القطار بادى ريان
القسيس بالسؤال :

- ماذا حدث ؟ . ما هي الأخبار ؟ .

- سوف نصل الى بولونيا في الساعة الثانية ولن نتوقف سوى
مرتين في محطات صغيرة وقد تصرف كلمنت على خير وجه .

نظر ريان الى كلمنت وريبت على كتفه مشجعاً وقال :

— اذا استمرت الحال هكذا فقد تكتب لك الحياة .

الكب فينشام وريان على الخريطة واخيراً قال ريان :

— من هنا الى بولونيا اكثر من خمسين ميلاً فاذا استطعنا التخلص من الحراس في هذه الفترة فسوف نبدأون في الهرب بعد مغادرة بولونيا مباشرة . وسأقف انا عند سائق القطار لأتأكد من انه لن يفشى شيئاً .

وسأصل فينشام :

— وماذا اذا وصل القطار الى فيرونا نحاولنا وقبض عليك ؟

— هل تهلك سلامتي حقاً ؟

— بلا شك فسيكون مؤسفاً حقاً ان تفكر في انقاذ الف رجل ثم لا تستطيع انقاذ نفسك .

— ان واجبي الأول هو انقاذ الاسرى لا نفسي فلا تقلق والان هيا بنا الى العمل .

حينئذ استأنف القطار سيره بدأ فينشام وريان مهمتهما في التخلص من الحراس الالمان واستبدلهم بحراس بريطانيين وامريكيين ولكنهم لم يستطيعوا اكمال مهمتهم . فحين وصلوا الى بولونيا كان اربعة من الحراس الالمان لا يزالون في أماكنهم على السطح .

الفصل السابع عشر

قبل أن يتوقف القطار تماما غادره ريان وكلمنت وشتاين
ليقوم بالترجمة . وأمر ريان كلمنت بانزال حراسه الأربعة الباقين
لكى يستريحوا فى المحطة . واتجه الجميع الى حجرة عمليات
المحطة حيث دار حديث شديد اللهجة بين كلمنت وناظر المحطة
ورغم عدم فهم ريان لحقيقة ما يحدث الا انه توجس خيفة ومن
ثم اقترب من شتاين الذى ترجم له هامسا . فقال :

- يقولون أننا سنبقى هنا حتى الصباح فجميع خطوط الشمال
مشغولة .

- ولكننا لا نستطيع ذلك .

- هذا هو سبب النقاش بين كلمنت وبينهم .

- حسنا اظهروا موافقتكم وهيا الى عربتنا للتشاور .

وهناك حاول ريان شرح الموقف لفينشام والقسيس ولكن
فينشام قال :

- لم لا نجعل كلمنت يرسل حراسه الى البلدة للراحة ثم نبدا
نحن فى الهرب فى مجموعات صغيرة ؟.

- ان ذلك غير ممكن ، فالمحطة كبيرة ومليئة بالامان والف
ضابط امريكى وبريطانى شئ يثير الشكوك .

- وما الحل ؟.

قال ريان :

— دعنا نلقى نظرة على الخريطة .. اننا لا نستطيع الاتجاه
شمالا ولكننا نستطيع الاتجاه شرقا أو غربا أو حتى جنوبا ..
الهم هو ان يسير القطار بحيث نستطيع التخلص من باقى الحراس
والهرب .

— وكيف نستطيع اقناع ناظر المحطة بان يحول القطار الى جهة
أخرى ؟

وقاطعهم شتاين :

— لقد أخبرنى الناظر ان الطريق الوحيد الخالى هو طريق
ميلانو .

— اذن فسندهب هناك .

— ولكن كيف ؟

— امتقد ان افضل وسيلة لذلك هى ان نخبرهم اننا تلقينا
عبر جهاز اللاسلكى أمرا بالاتجاه الى هناك . غيا يا ابت ترجم
ما أقوله لك بالألمانية واكتبه « عليكم بالاتجاه فورا الى ميلانو
لكى تأخذوا النى عشر أسيرا آخرين وتلقوا بعض التعليمات
الهامة من ... من الكولونيل ديرتش » .

وقاطعه فينشام :

— من هو الكولونيل ديرتش ؟

— انه اسم مخلق ! هل يبدو كذلك ؟

— كلا انه يبدو حقيقيا فعلا . ريان اترك شيطان .

وقال ريان :

— والآن فون كلمنت عليك بإبلاغهم فى المحطة بهذه التعليمات
التي وردت اليك فورا ولا تخشى شيئا فسيكون كل شيء على
ما يرام .

اكان ناظر المحطة يجلس مكتئبا كى حجر . وقد احاط به بعض
القادة الامان يطالبونه باخلاء السبيل امام قطاراتهم حينما دخل
ريان وكلمنت والقسيس ودار حديث ثم يفهم ريان منه شيئا
ولكنه كان يراقب القسيس فى انتظار اشارة منه الى وجود خطر .

وبعد فترة بدت طويلة جدا لريان ضحك احد كبار الضباط
وربت على كتف ريان وتحدث اليه كما لو كان يساله عن شيء ما .
وامتقع وجه ريان ثم قال :

— هامبورج .

وتضحك القائد ثم تحدث بالابطالية مع ناظر المحطة . وبعد
افترة لم يعرف ريان مداها من شدة القلق سمع لهم بالخروج من
الحجرة .

وتسأل ريان بصوت هامس فى اذن القسيس :

— ماذا حدث ؟ .

— لا شيء سوف نسافر الى ميلانو . ولكنهم لا يستطيعون
التصريح لنا بذلك الآن فليس لديهم قاطرة . وقد اخدوا قاطرتنا
لتحجر قطارا آخر متجها الى الشمال ومن ثم سوف نضطر الى
الانتظار حتى الخامسة صباحا .

— حسنا سأجد حلا لذلك فيجب ان نبرح هنا قبل بزوغ الفجر
حتى نستطيع الهرب دون ان يفضحنا ضوء النهار . والان اجبني
للانذار ضحك القائد كهذا كثيرا .

— لانه سالك اين تحب ان تحارب فقلت له فى هامبورج .

— كنت افقد انه سألنى من اين انت ، ذلك اننى لم افهم من
الكلامه سوى كلمة « اين » .

— نحمد الله انه افقد انها تكتة وان قولك له بانك تريد ان
تتحارب فى هامبورج يعنى انك تود الا تحارب على الاطلاق والا
لافتضح امرنا .

حيثما عاد ريان الي القطار منزع للأسرى بالذهاب إلى دورات
المياه بصحبهم الحراس ، اللان الحقيقيون حتى لا يفكروا في الهرب
ولكنه لم يطق صبرا حتى يورغ الفجر فقد كان وجود أربعة
حراس المان كفيل بكشفة ، امرهم ومن ثم انتظر حتى عاد الأسرى
الى مرباتهم ثم امر كلمنته باستدعاء باقي الحراس الواحد تلو الآخر
فقتلهم فينشام وخلع ريان عنهم ملابسهم واعطاها لأربعة من
الأسرى . وهكذا تحقق الجزء الأول من الخطة وأصبح القطار كله
يحت سيطرة ريان .

الفصل الثامن عشر

أخذ ريان وفينشام يفكران فى وسيلة لكى يتحرك القطار قبل
تهروق الشمس ولكنهما فشلا فلا يمكن أن يتحرك القطار بلا
القاطرة . الا ان فكرة جريئة للغاية خطرت لريان فقال :

— فينشام ! ان القطار كله الآن تحت سيطرتنا فما الذى
يروغنا على الذهاب الى ميلانو انها فى وسط ايطاليا وبعيدة جدا
عن قوائنا .. لم لا نذهب الى سويسرا ؟

— سويسرا ! وكيف ذلك ان هذه ليست سيارة تذهب بها
حيث تشاء انه قطار مرتبط بطريق معين وجداول وتحويلات ..
— انصت الى جيد . انك حين ترى قطارا لا تفكر ولا بخالك
أدنى شك فى انه يسير فى طريقه الصحيح فاذا ...
— ريان ! انك مجنون وهذه خطة لا يمكن تنفيذها .

— انصت الى اولا .. اننا لن نتجه الى ميلانو بل الى ثيرانو .
حيث نعبّر الحدود ولن يوقفنا ناظر محطة ميلانو قبل عدة ساعات
تكون فيها قد عبرنا الحدود ذلك ان من هنا الى ميلانو ١٥٠ ميلا
ومن هنا الى ثيرانو ١٦٠ أى نفس المسافة تقريبا .

— حسنا ! لم اكن اعتقد أنك تستطيع السيطرة على القطار
ولكنك أفلحت وأشك فى نجاح هذه الخطة أيضا ولكنى سوف
أساعدك .

— إذن اتفقنا ! الى سويسرا ..
— نعم الى سويسرا ..

الفصل التاسع عشر

قبل الفجر بفترة قصيرة أحس ريان بحركة غير عادية في
القطار واتجه الى مقدمته حيث وجد قاطرة تركب وسأل السائق :
- الى ميلانو ؟ .

فأجاب السائق الإيطالي بكلام مقتضب لم يفهمه ريان فترجمه
القسيس :

- كلا انهم لن يستطيعوا اوسالنا الى ميلانو الآن فالطريق
مغلق والوسيلة الوحيدة هي ان يخرج القطار من المحطة وينتظر
على حد الخطوط الجانبية بعيدا عن المحطة الرئيسية ويبقى هناك
حتى الخامسة مساء .

- هذا يعنى بقاؤنا هنا طوال النهار تحت سمع وبصر عدد
لا حصر له من الألمان والإيطاليين .

- هل لديك حل آخر ؟ .

- نعم . . هيا بنا الى عربتنا لننشاور .

كان فينشام وشتاين يجلسان مرهقين حينما دخل عليهما ريان
والقسيس ليبلغوهما بما حدث . وسأله فينشام :

- وما العمل إذن ؟ .

- لقد فترت فري الأمر . أرى ان ينزل الأسرى الى هذه الحقول
القريبة ويضعوا هناك بعيدا عن القطارات الأخرى حتى يعين موعد
سفرنا .

— ولكن كيف تقنع الأسرى بعدم الهرب الآن •
— سأمر حراسهم بالتصرف كما لو كانوا حراسا ألمان فعلا •
أي أن يطلقوا النار على أول من يفكر في الهرب •

دعا ريان كل الحرس اليه وشرح لهم حقيقة الموقف ثم قال :
— لقد أثبتتم شجاعة تشكرون عليها لارتدائكم الزي الألماني
وجلوosكم فوق عربات القطار المتحرك والآن أريد هذه الشجاعة
نفسها في اكمال الخطة • وأنا أتوقع منكم حزما مع الأسرى ولا تنسوا
ولو للحظة انكم ألمان فعلا • فلا تتحدثوا معهم ولا تسمحوا لهم
بالتودد اليكم أو بالخروج عن النظام أو إثارة الشغب •

ثم توجه ريان الى القطار وفتح العربات وسمح للأسرى بالانطلاق
الى الحقول وهم يحملون طعامهم • كانت صرخاتهم المرحية مدوية
وجاء فينشام مسرعا وقال :

— لاتدعهم يفعلون ذلك فقد يثير مرحهم التساؤل •
— لاتقلق فانهم كانوا سيتصرفون مثل هذا التصرف لو اننا
حراسهم ألمان فعلا •

تجمع الأسرى في مجموعات حسب عرباتهم يحرس كل مجموعة
أحد الحراس في الزي الألماني وجاء ريان الى المجموعتين الأولى
والثانية وقال :

— اننا نبعد خمسين أو ستين ميلا عن ميلانو ونسمى اليوم
هنا ونصل هناك بعد حلول الظلام •
وتساءل بوشتيك .

— ومتى نقادر القطار ونهرب •
— اننا لن نقادر القطار فسنأخذه معنا •
— ماذا تعنى ؟ •

— اننا ذاهبون الى سويسرا •
— سويسرا ؟ سويسرا ؟ •

بدأ البعض يعترض وقال بعضهم بصوت هامس :

- لم ننتظر اننا نستطيع أن نهرب الآن وكل مسئول عن نفسه .
- كلا هذا لن يكون فالتقبض على أى حارب خارج مكانه كفىل
بأن يفضح أمرنا . هذا وسيطلق حراسكم النار على كل من يحاول
الهرب الآن .

وبدا الأسرى يتنمرون فقال ريان :

- لاحظوا ان زملاءكم فى الزى الالماني معرضون للقتل فى أية
لحظة اذا افتضح الأمر . فعليكم بعدم اثارة الشغب أو لفت الأنظار .
والله وحده يعلم كيف ستتم ساعات النهار الطويلة . تمسكوا
بالشجاعة .. وحظ سعيد .

وأخذ ريان ينتقل من مجموعة لأخرى حتى بلغت أوامره الجميع
ثم عاد الى مربته ليستريح . ولكنه لم يكذب يرقد على سريره الا
ويقظنه ضجة لا مثيل لها .

- ونظر من النافذة فوجد مجموعة من الفلاحين الايطاليين من
القرية المجاورة وقد اقتربوا من الأسرى فابقط فينشام وأمره
بحراسة كلمنت وأخذ القسيس معه وقال له :

- أبت اسألهم لماذا جاءوا وماذا يريدون ؟

بعد حديث طويل ملأته الاشارات بالأيدي والتعابير بالوجه
شرح رئيس الوفد وهو رجل عجوز مسن سبب مجيئهم للقسيس
الذى ترجم لريان فقال :

- لقد جاءوا يحملون الطعام للأسرى .

- لا بد انهم اعتقدوا اننا اسرى ايطاليون .

- كلا فهو يعرف اننا اسرى بريطانيون وأمريكيون .

- أبت ولكننا منذ عدة أيام فقط كنا نحاربهم . انا لا استطيع

تفسير سلوكهم .

- اما أنا فاجد تصرفاتهم طبيعية .

- طبعاً فانت ما زلت قسيساً ترى الخير فى الناس سائر لك

مفاؤلك واحتفظ بتشاؤمى حتى تنتهى من هذه المحنة .

بدأ الفلاحون في توزيع ما معهم من طعام على الأسرى وحاولوا الاختلاط بهم وكانت بين الأهالي فتاة جميلة أخذ الأسرى يحيطون بها ويمرحون معها بينما هي تتدلل عليهم وتبادلهم الضحكات والاشارات ذلك ان الكلام كان غير ممكن مع اختلاف اللغات . وحين تمادى الأسرى في ضحكهم وصخبهم وتمادى الأهالي في تعاطفهم صرخ ريان في الحراس بعدة كلمات انجليزية نطقها في لكنة المائية معتمدا على جهل الأهالي الإيطاليين باللغة الألمانية . واثار صراخه المتكرر بدأ الحراس في ابتعاد الأهالي الذين نظروا الى ريان بحقد ثم بدؤوا التقهقر وهم يلوحون بأيديهم للأسرى الذين كانوا بدورهم يلوحون لهم شاكرين .

ورقد ريان على سريريه وحاول النوم فقد مرت عليه مدة طويلة لهم يشف فيها .

مر النهار متشابلا وحتى الظهيرة كان الأسرى قانمين بالطعام والشراب والاستمتاع بالحرية المؤقتة ولكنهم بدؤوا بعد ذلك يحسون بالملل وبدؤوا يتحدثون عن ريان وعن مخاطرته بالذهاب الى سويسرا . وعن قسوته وعدم مراعاته لهم ولشعورهم وعن تصرفاته في المعسكر ٢٠٢ وعن انه سبق وأن ضيع عليهم فرصة الهرب من المعسكر ولعله الان يريد أن يضيع عليهم فرصة الهرب مرة أخرى لغرض في نفسه وبدؤوا يتساءلون عن ماضيه ويتناسون كل ما سبق أن سمعوه عن حسن تصرفاته وشرف نواياه .

وحينما استيقظ ريان في الساعة الثانية لاحظ على الفور حالة القلق التي سادت الأسرى فأمرهم بتنظيف عربات القطار وتنظيم حاجياتهم داخلها وإخفاء الجثث والاستعداد للسفر فلم يبق أمامهم سوى ثلاث ساعات .

أخرج ريان الخريطة وبدأ في فحصها مرة أخرى . ان كازدات على بعد عدة أميال شمالا من ميلانو . تقع على الخط الرئيسى الى تيرانو على الحدود فلماذا لو توجه القطار الى هناك بعد ميلانو ؟

• حاول ريان اقناع من معه بخطته ولكنهم كانوا لا يدرون كيف يستطيعون الى ذلك سبيلا . وشرح ريان الامر فقال :

— اعتقد ان الامر سيكون سهلا للغاية فما علينا سوى ان نوزع تعليمات اخرى .

— كيف ؟ ماذا سنقول هذه المرة ؟ وهل سيصدقونا ؟ •

وتلاحقت الاسئلة ورد ريان :

— بدل ان تؤخذ اسرى هذه المرة سوف نتجه شمالا بنحبة محاولة الوصول الى اينزبروك .

— ولكن هذا مخالف للرسالة الاولى .

— ومن ذا الذى سيفكر فى ربط الرسالتين . الا نستطيع ان نحس بالارتباك الشامل فى القطارات وسكك الحديد . وسفر الجنود الالمان وسريح الايطاليين وتوصيلهم الى مراكز اخرى . ثم تقل قوات الحلفاء . ان كل هذا يثير الارتباك ولن يشك احد فينا قلن يخطر على بال احد ان الف اسير يستطيعون الهرب بالقطار باكملة . كل ما علينا فعله هو الابتعاد عن المحطات الكبيرة حيث يتجمع عدد لا بأس به من الضباط الالمان .

وقال القسيس نيابة عن الآخرين :

— حسنا . سوف نقف الى جانبك ولكن هذه هي آخر مرة نكتب فيها تعليمات مزورة .

— ايت لا تقل آخر بل قل ثاى مرة واملى الا نحتاج الى التزوير مرة اخرى ولكن .. هيا بنا للعمل .

الفصل العشرون

بدأ ريان والقسيس قى كتابة التعليمات المزورة . وانتهوا منها فى حوالى الساعة الرابعة وخرج فينشام لكى يشرف على عملية عودة الاسرى الى العربات ولكنه عاد بعد عشرين دقيقة وهو متقمع الوجه وقال :

— هناك رجل مفقود .

— هل تعلم من هو ؟

— نعم بوشتيك .

نظر ريان الى ساعته ثم قال :

— ليس لدينا سوى خمس واربعين دقيقة لنجده فيجب ان

يكون معنا فى القطار حينما نرحل .

اتجه ريان مسرعا الى حيث تجمع الاسرى ونظر الى اولئك

الذين كانوا مع بوشتيك فى مجموعته وقال :

— الا تحسون بالخجل ؟ لقد جعلتموه يهرب منكم . ائى

لا ادرى ان كان هروبا سيتم له النجاح ولكننا لو فشلنا فسوف

نظل حتى نهاية عمرنا نلوم انفسنا .

وصمت الاسرى واخيرا نظر اورد الى ريان ولم يتكلم .

وساله ريان :

— ملازم اورد ماذا تريد ان تخبرنى هيا اسرع فليس لدينا

وقت .

— سيدي لقد اتجه نحو القرية القريبة وقد خطر الهرب على
باله حينما رأى شعورهم الحسن تجاهنا .
— حسنا . . شكرا يا أورد والآن .

نظر ريان الى الحارس الذي يرتدي الزي الالماني وسأله :
— ما اسمك .
— البرت لوجان يامسدي .

— حسنا اعط ملابسك لشخص آخر اثق فيه اما انت
فلاتتوقع منى أية رحمة حينما نصل الى غرضنا . فقد سمحت لاحد
تابعيك بالهرب .
— سيدي ولكن . . .

أوقفه ريان بإشارة من يده وقال :
— نفلد ما قلته لك دون اعتراض .

انتظر ريان الى أن ارتدى الملازم هيندلى الانجليزى سترة
الحارس الالماني واصطحبه هو والقسيس معه وجدوا بأسرع
ما يستطيعون نحو القرية .

كانت القرية تبدو ساكنة فيما عدا طفلا صغيرا كان يلعب
وحينما رأى ريان وصحبه جرى داخل أحد البيوت وتبعه ريان .
الا أنه حين دخل وجد البيت خاليا باستثناء الرجل العجوز الذي
صحب وفد القرية الى الاسرى ومسيده أخرى فى منتصف العمر .
كانا يجلسان ساكنين . الرجل ينظر الى لاشيء والمرأة ترتق بعض
الجوارب .

بادرهما ريان بالسؤال بالالمانية .

— هل رأيتم أحد الاسرى هنا .

وترجم القسيس قوله الى الإيطالية .

ولكن الرجل بدأ كمن لم يسمع أما المرأة فقد هزت رأسها
نفيا .

— ان سكوتكما عنه سوف يجز عليكما مصائب .

وترجم القسيس قول ريان وقى هذه المرة من المعجزة كتبه
ونظرت المرأة الى الشراب الذى بيدها ولم تقل شيئا .

كرر ريان أسئلته مرة بعد مرة يهدد ولكن كل محاولاته
للعرفه مكان بوشتيك باءت بالفشل . فبدأ يفتش المكان بنفسه
ولكنه لم يجد شيئا فخرج ساخطا .

وبينما هو يسير فى شوارع القرية فى محاولة للعثور على
بوشتيك رأى احد الايطاليين يقترب منه ويسأل :
- هل تتحدثون الإيطالية ؟

ورد القسيس :

- كلا ولكن من أنت ؟

- هل تبحثون عن الأمريكى الهارب ؟

- نعم .

- استطيع ان ادلكم عليه فانا احب النازيين ولكن لا استطيع
ان اصطحبكم الى هناك .

- امسك ريان بتلايب الرجل وقال ساخطا :

- اين هو هيا اخبرنى سريعا .

- اجاب الرجل فى لغة ايطالية وصوت مرتعد :

- سيبدى انه يختفى فى مقهى القرية .

صفحه ريان وتركه وجرى نحو المقهى الذى كان يبدو ساكنا
بدرجة تشير الشكوك .

دفع ريان باب المقهى بقدمه ودخل . وارعد صاحب المقهى
تخوفا ولكنه مع ذلك رفض ان يجيب على أى سؤال يوجهه ريان .
ولاحظ ريان أن كل رواد المقهى ينظرون بخلو من حين لآخر الى
باب المخزن قدفعه بقدمه وحاول الدخول . وهنا امتنع وجه المالك
فعرف ريان أن بوشتيك لا يد وأن يكون مختفيا هنا .

دخل ريان المخزن وبقي القسيس وهيندلى فى الخارج .

وقال ريان موجها حديثه لبوشتيك :

ـ بوشتيك انا اعرفك انتك هنا • قأخرج قووا • والايطاليون
كذلك يعرفون انتك هنا • اى انتى يجب أن اعثر عليك • ثم هم
يعتقدون انى المانى وانتك امريكى فيجب أن تخرج والا أقسم بالله
لاقتلك :

فلن يكون شيئا غريبا أن يقتل ضابط المانى اسيرا امريكيا
هاربا • هيا اخرج •

ساد سكون خاطف عقبه صوت مسقوط بعض الصناديق خرج
من ورائها بوشتيك •

وحين رآه ريان صفعه ثم سحبه الى الخارج •

كان رواد المقهى يتوقعون ظهور ريان وحين خرج اليهم دسح
بوشتيك بكل قوته فسقط على الأرض أمامهم جميعا • ولم يجرؤ
أحد على التحرك • ثم سحبه من على الأرض مرة أخرى ودفعه تجاه
هيندلى الذى أمسكه بل وقبضه بيننا اندفع ريان يحطم زجاجات
المشروبات ويدفع الكراسى بقدمه وأخيرا اوبا لهيندلى والقسيس
بالانصراف وتبعهم •

قال الأب بعد أن غادروا المقهى •
ـ ريان لم تصرف بك كل هذا العنف ؟

ـ هذا هو ما يتوقعه الايطاليون المنسحبون من الضباط الألمان •
اليس كذلك ؟ •

ثم نظر ريان الى بوشتيك وقال :

ـ لقد كنت على وشك افساد كل الخطط • فقد وجدنا في هذه
البلدة مخبرا ايطاليا كان على استعداد لأن يرشد عنك اى ضابط
للمانى حقيقى •

مكن بوشتيك لحظة ثم قال القسيس :
ـ نعم يا بنى بل وربما القضاء علينا جميعا •

نظر بوشتيك لريان في محاولة للاعتذار ولكنه أحجم حينما
وإلى الشرر يتطاير من عينيه •

حينما وصلوا إلى القطار بعد ٣٥ دقيقة قال ريان لبوشتيك
سابقك معي في عربتي فلم أعد أثق فيك •

دخل ريان عربته فوجد فينشام يجلس على سرير وأحسد
الضباط في زي ألماني يعبث بجهاز الإرسال فسأله •

— ما اسمك ؟ •

— ملازم هانك يا سيدي واني أمريكي •

— هل تتحدث الألمانية •

— نعم يا سيدي •

— اذن عليك بتتبع الإرسال من هذا الراديو حتى تصل إلى أية
محطة تذيع أي خبر عنا • وأبدل كل جهدك لكي تصل إلى محطة
روما فهي مقر القيادة وإذا أحس أي شخص في أي محطة بأي شيء
فلا بد وأن يبلغ القيادة •

— حسنا ياسيدي سأفعل •

واستأنف القطار سيره •

الفصل الحادى والعشرون

توقف القطار فى ميلانو واستعد الجميع لتمثيل دورهم فيما
هذا كلمنت الذى كان يرتعد • ولم تجد معه أية نصائح بل وقد
أعطاه ريان جرعة خمر ولكنها لم تساعد على تماسك أعصابه •
فقال :

- فون كلمنت ، هذه هى الخطوة الأخيرة هنا تماسك ان كنت
تريد الحياة • وإذا ما سالك أحد عن حمولة القطار عليك باخبارهم
انك تقود قطار أسرى وتوجه بهم الى الشرق وتظهر لهم التعليمات
ثم تهدد باطلاق النار على كل من يقترب من قطارك •

نزل كلمنت وريان والقسيس الى المحطة وأظهر كلمنت
التعليمات المزورة وسارت الأمور على ما يرام لكنهم علموا انهم
سوف يضطرون الى البقاء هنا ساعة أخرى •

لم يقلق ريان فإمامه ست ساعات ليصل الى تيرانو قبل بزوغ
الفجر وهى لا تبعد أكثر من ٢ ميل ولكنه كان يخشى أن تحس
فيرونا بما حدث أو أن تفتقده اينز بروك وحينئذ يبدوون فى
البحث عنه •

كان كلمنت خائر القوى فاصطحبه ريان مسرعاً الى القطار
ولكنهم اضطروا للتوقف اذ قطع طريقهم أحد الضباط الألمان وقال :

- أهلاً كلمنت ••• كيف حالك ؟ •

سلم كلمنت عليه دون أن ينبس بحرف •

- كلمنت عزيزى ماذا بك ؟
- ورد القسيس بلغة حاول قدر الامكان أن تبدو المانية
- سيدى انه مريض •

نظر الصديق الى ريان متفحضا ولكنه أبعد عينيه عنه بسرعة
ثم نظر الى القسيس فى ملابس المانية تبدو واسعة عليه ثم قال :
" لا بأس عليك اعتقد أنه يحسن بك أن تذهب الى قطارك
وتستريح •

- وأخيرا رد كلمنت بصوت واه :
- حسنا •

انصرف الصديق ببطء • بل ولم ينظر خلفه على صديقه
المريض كلمنت • كان هدوءا مريبا •
قال ريان للقسيس :

- أبت اصحب كلمنت الى القطار وسأوافيكم حالا •

تبع ريان صديق كلمنت الذى كان يتجه الى مقر القسيادة
الالمانية بالمحطة •

كانت المحطة مزدحمة بإيطاليين وألمان فى ملابس عسكرية
وبكثير من المدنيين • اقترب ريان من صديق كلمنت ودفعه نحو
شريط السكة الحديد مرة ثم مرة أخرى الى أن اقترب جدا من
الرصيف ثم دفعه دفعة قوية فسقط تحت عجلات القطار الواقف
ونزل اليه ريان فى هذا المكان الخفى ثم خنقه بيديه وجرى الى القطار •
وهناك سأل فينشام :

- ماذا حدث ؟ •

- لقد قتلت صديق كلمنت •
- وانزعج الأب وقال :

- الى متى يستمر القتل • متى ينتهى كل ذلك •
- قبل بزوغ الفجر يا أبت اذا دعوت لنا وكان الحظ حليفنا •

وقال القسيس :

- ما دام لدينا ساعة من الوقت فلم لاتسمح للأسرى بالنزول ؟
- لن أفعل ذلك فلا أريد أيا منهم أن يقلد بوشتيك •

واحمر وجه بوشتيك خجلا ولكنه لم يتكلم •
وسأل ريان الملازم هانك :

- هل استطعت أن تصل الى شيء ؟

- كلا يا سيدى فانى أسمع أصواتا كثيرة ولكننى لا أعرف مصدرها •

- حسنا • • فينشام ما اسم الحارس الذى يقف فوق عربتنا ؟

- ايفانز وهو من ويلز فى انجلترا •

- حسنا ادعوه حالا • •

حين نزل ايفانز وكان رجلا بدينا قصيرا قال له ريان :

- ملازم ايفانز املئ كبرى فى أن تنفذ بدقة ما أملكه عليك •
الآن أريدك أن تتجه الى خطوط التلغراف التى تبعد عن المحطة
بحوالى ربع ميل فتقطع الأسلاك وتعود الى قبل قيام القطار • •
هل نستطيع ذلك •

- نعم يا سيدى •

- حسنا حظ سعيد •

بعد فترة عاد ايفانز ليقول انه أتم مهمته • وسأله ريان :

- هل تعرف أى شيء عن تحويلات السكك الحديدية ؟

- نعم يا سيدى •

- أريد منك تحويل السكة الحديد الى الشمال بحيث تقودنا
الى كارنات ثم تعود الى بأسرع ما تستطيع •

حينما وصل القطار الى كارنات كانت الساعة قد أصبحت
الحادية عشرة وربما توجه ريان الى القاطرة نفسها يراقب تصرفات
السائق • فقد أبلغه القسيس أنه فاشستى من الطراز الأول وأنه

قد يفشى السر إذا عرفه وهناك جاء أحد المدّين الإيطاليين وتحدث
مع السائق ثم ذهب .

واقترّب ريان من القسيس وقال بلغة انجليزية :

- أبت أوضح له حقيقة الأمر وقل له اننا سننتجه شمالا وان
عليه طاعتنا لو أراد الاحتفاظ بحياته .

ارتبك القسيس لسماح لغة ريان الانجليزية أما السائق نفسه
فقد عقدت الدهشة لسانه الا أن عجبه لم يطل فسرعان ما أوضح
له القسيس حقيقة الأمر . ولكن السائق نظر الى ريان محتقرا
ثم هز رأسه وثار ريان وقال للقسيس :

- أبت قل له بلغة ايطالية واضحة ان امامه ثلاثين ثانية فاما
طاعتنا أو الموت .

لم يجد السائق بدا من الموافقة أما القسيس فقد قال نادما :

- لقد وثق في وخدعته . . اننى قسيس وكان لزاما على أن
أكون صادقا .

وطمانه ريان :

- أبت انك حين خدعته لم تكن ترتدى ملابس القسيس

أو تقوم بدوره بل كنت جنديا ترعى مصالح بلدك أولا . والآن
لا بأس فحينما تستنشق هواء الحرية سترى أن كل هذه الخيانات
ليست سوى تضحيات بسيطة في سبيل ما حصلت عليه . وعلى
اية حال لا تقلق فاننى لا أنوى إلحاق أى ضرر به اذا ما ساعدنا .

بعد لحظات أحس ريان ان القطار قد ترك المحطة وابتعد
فقال للقسيس :

- أبت عليك بمراقبة السائق وقتله اذا حاول افشاء أمرنا

لانى سأذهب لمقابلة فينشام وتدير أمورنا .

لا أستطيع أن أعدك بقتله ولكنى سأبذل قصارى جهدى

لكى لا يسيء التصرف .

ذهب ريان الى فينشام الذي بادره بالسؤال :
— ماذا سنفعل الآن ؟

— أريد أن يستبدل كل الحراس ملابسهم المزيفة بملابسهم الحقيقية ماعدا ايفانز وشتاين والقسيس وأنا وأنت • ذلك اننى أريد أن يقل عدد المعرضين للاعدام اذا ما قبض علينا • ثم بعد ذلك أريدك أن تطفى الأنوار وتطلب من الأسرى السكون التام فأننا من الآن فصاعدا سنصبح فى قطار خال فى طريقه الى سويسرا •
لحل بعض المؤن ١٠:٠٠

وقاطعه فينشام مستهزئا :

— ولكن هل تستلزم المؤن أربعاً وعشرين عربة ؟ •

— أملئ كبير فى ألا تضطر للاجابة على مثل هذا السؤال •

توجه ريان الى كل عربة ليشرح تعليماته ولكن الأسرى كانوا يطالبونه بالنزول من العربات للراحة ولكنه كعادته قال :

— لم يعد أمامنا سوى ثلاث ساعات فليكم احتمالها •

وحين ثار الأسرى وبدأوا يلومونه على حبسهم ويطلبون منه تركهم لكى يحاولوا الهرب الى سويسرا وخدمهم لم يفرهم أى اهتمام •
وحذره فينشام قائلاً :

— اذا لم تنجح الخطة فالويل لك منهم سيكروهونك حقاً •

— اننى لا أقلق من كرههم قدر قلقى من عدم اظهارهم لهذا

الكراهة •

وفى حوالى الساعة الثانية عشرة كانوا قد وصلوا الى د ليكو •
على شاطئ بحيرة كومو • وفحص ريان الخريطة ثم قال :

— لقد وصلنا لىكو فى الوقت الذى كان يجب أن نكون فيه فى برجامو فاذا كانت محطة برجامو تتوقع وصولنا فقد تبدأ فى الاستعلام عنا وعن طريق سيرنا أما ان كانت المحطات السابقة

لم تمن باخطارها اننا نتجه اليها فلا شك انها لن تتوقعنا ومن
ثم لا يكون هناك أى داع لقلقنا فما عليكم الا الدعاء .

ورد القسيس وقد بدا على وجهه القلق .

- اننى ادعو بكل قواى .

حاول ريان أن يغمض عينيه فترة فقد كانت المسافة من ليكو
الى تيرانو قصيرة وغير متوقع أن يجدوا فيها أى متاعب فقد كانت
متطرفة الى الشمال وليس فيها خطوط كثيرة ومن ثم كانت قطاراتها
نادرة ولكنه ما كاد يفعل حتى أيقظته صرخات القسيس قائلا :-

- كولونيل استيقظ هناك حريق أمامنا .

الفصل الثاني والعشرون

صرخ ريان •

— قل للسائق أن يتوقف قورا •

حين توقف القطار قال ريان للقسيس ؟

— إلى بفينشام قورا •

جرى القسيس وسرعان ما عاد بفينشام الذي كانت تسبلة

أسئلة •

— ماذا حدث ؟ لم يخبرني القسيس ؟ هل نحن في خطر ؟ •

ماذا بشأن باقي الأسرى ؟ •

— لا أدري بعد ولكن يبدو أنهم قد أشعلوا هذا الحريق

ليوقفونا وأن أمرنا قد كشف • ولكن على أية حال أريدك أن تذهب

إلى كل العربات وتفتح أبوابها ثم تطلب من الأسرى أن يبقوا ساكنين

عاقدا ما سمعوا طلقة نارية فعليهم بالخروج من العربات والاتجاه

بقورا إلى الجبال والاختفاء فيها • وأن يحاول كل منهم الوصول

إلى حدود سويسرا وحسبته ولكن لو خرج أحدهم دون سماع طلقة

أقارى سيكون مصيره المحاكمة •

ووجه ريان حديثه للقسيس :

— أبت قل لكلمت ألا يرتبك إذا وجهت إليه أية أسئلة

وإن عليه أن يقول أنه متجه إلى سوردينو في سويسرا لتسليم بعض

المواد التمييزية وأن الأوامر التي صدرت إليه تحتم عليه عدم ذكر

أى شيء عن طبيعة هسله المواد حتى لا يسء الى سمعة سويسرا
الحيادية فاذا ما طلب منه اطلاعهم على هذه الاوامر عليه بارستالك
لاحضارها • فتركه أنت وتهرب وأعطى أنا الاشارة لباقي الأسرى
ليهربوا •

— وماذا سيكون مصيرك أنت ؟ فسيكون من المؤسف أن تدبر
أمر هربنا ثم لا تستطيع أنت ذلك •

— هذا يعتمد على الظروف • على أية حال لا تقلق •

وبدا القلق على كلمنت وقال له القسيس :

— لا تقلق سيكون كل شيء على مايرام • اذا فعلت ما أمرت به •

اقترب جنديان المانيان من القطار وبدأ الحديث مع كلمنت
أما ريان فقد توترت أعصابه لأنه لم يكن يفهم الألمانية وأخيرا اقترب
من القسيس الذى بدأ يترجم له هامسا بسرعة •

— لقد حاول الايطاليون تدمير سكك الحديد ولكن الألمان

أصلحوا الى حد ما بعض ما فسد الا أن القنطرة القديمة قد تعرضت

لبعض التلف ومن ثم قد لا يستطيع تحمل مرور القطار عليها •

فعلينا العودة الى ليكو والبقاء هناك حتى يتم اصلاح القنطرة •

نظر ريان الى كلمنت نظرة قلق وخوف وحث على العمل •

ولم يعرف كلمنت التفاتا بل بقى صامتا كما لو كان يفكر

وأخيرا قال :

— ان القطار فارغ وسنتجه الى سوردينو لتسلم بعض المؤن

الضرورية •

ابتعد الجنديان فترة للتشاور ثم قال أحدهما :

— ان مروركم أمر خطر ولكن ان كنت مصمما فارجو أن تعطينى

ورقة بذلك لتحمل فيها أنت نتيجة مرور القطار على القنطرة •

وجد القسيس نفسه مضطرا للتصرف السريع فأحضر ورقة

ركتب فيها تحمل كلمنت الكامل للمسئولية ثم أعطاها لكلمنت

ليوقع • بينما كان ريان يراقبه خشية أن يكتب على الورقة أى

شيء • وحين وقع كلمنت أخذ الجنديان الأذن وانصرفا •

وجاء فينشام فقيل له ما حدث ولكنه اعترض قائلاً :
- اذا كانت القنطرة لا تستطيع أن تتحمل قطارا فارغا فهل
تستطيع تحمل قطار يحمل ألف رجل ؟ ان ذلك لمخاطرة كبيرة •
وقال ريان :

- ان الأمر كله مخاطرة • فهل تقترح علينا العودة الى ليسكو
أو الهروب فرارا • ليس أمامنا سوى حل واحد • ان كنت تريد
التراجع فيمكنك ترك القطار الآن •
- هل تتراجع أنت يا ريان •
- كلا •

- اذن لن أتراجع أنا •
ابتسم له ريان مشجعا وقال له :
- الى سريعا بمهندس من الأسرى •

وبعد لحظات عاد فينشام ومعه المهندس وقال ريان للمهندس :
- عليك بالوقوف بعد العربة الثانية فاذا لاحظت ان القنطرة
لن تتحمل مرور القطار كله فعليك بفصل باقي العربات بسرعة حتى
لا نعرض للخطر سوى العربتين الأوليين فقط • هل تستطيع ذلك •
- نعم •

- حسنا ساعتمد عليك • والآن هيا الى العمل •

وقال القسيس :

- حظ سعيد •

- أبت لم أكن أعتقد انك تؤمن بالحظ فأنت رجل مصل •

- اننا أحيانا نحتاج الى الحظ لكي يستجيب الى صلاتنا •

وبدا القطار سيده • وبعد لحظات كالمهر كانت اخر عربة
قد مرت عبر القنطرة •
وقال ريان لفينشام :

— عليك بالتوجه الى العربات واعادة غلق أبوابها حتى لا يهرب
الأسرى ثم عليك بسؤال عامل اللاسلكى عن أى معلومات يكون قد
توصل اليها •

توجه فينشام لأداء مهمته وحاول ريان الاسترخاء ولكن سرعان
ما عاد فينشام لاهثا ليقول :

— لقد عثروا على جثة صديق كلمنت فى المحطة •

— وهل بدعوا البحث عنا ؟

— كلا فان عامل اللاسلكى لم تفصله أية أنباء عنا بعد •

— ليس لدينا الآن سوى الانتظار •

— ومتى نصل المحطة التالية ؟

— بعد فترة قصيرة سنصل الى كوليكو حيث نجد خطين للسكك

الحديدية أحدهما يتجه شمالا والآخر هو طريقنا الى سويسرا •

حينما ظهرت أضواء كوليكو توجه ايفانز الى توصيلات السكك

الحديد ليتأكد ان أحدها قد عدل ليتجه بهم الى تيرانو •

— وما العمل فى تيرانو وكيف سنعبى الحدود ؟

— سوف نبطئ جدا بالقرب منها فيعتقد الجميع اننا سنتوقف

ثم نسرع مرة واحدة وبعد عدة كيلو مترات سنكون قد وصلنا

الى سويسرا •

— وماذا عن كلمنت ؟

— سأطلق سراحه فقد وعدته بذلك •

واحتد فينشام قائلا :

— هل نسيت ما فعله سبوتزل ووعوده ؟

— لم أنس ولكنى لست سبوتزل وواعد الحر دين عليه •

وفجأة وبلا انذار بدأ السائق يفتنى •

وتسائل ريان :

— ما الذى جعل هذا التحذير يغنى لقد كان حائقا علينا

منذ بدأنا •

حاول القسيس معرفة سبب غناء السائق ولكن بلا جدوى •
وأخيرا توقف القطار وأمسك ريان بتلابيب السائق وقال :

— سأقتلك لماذا أوقفت القطار ؟

— ولم يفهم السائق لغة ريان ولكن المعنى كان واضحا فقال :

— لا ماء •

قال ريان للقسيس :

— قل له أن يسير بلا ماء فتورينون تبعنا عدة كيلو مترات •

ولكن القسيس عاد فقال إن ذلك مستحيل فقد احترق
القاطرة • ولم يكن هناك حل آخر سوى الانتظار حتى يستطيعوا
الحصول على ماء •

واطفئت الأنوار في محاولة يائسة لإخفاء معالم القطار الساكن
في الظلام • وعلى بعد عشرة أميال شمالا كانت الحرية • وفي الجنوب
كانت تقع إيطاليا • والأعداء •

الفصل الثالث والعشرون

جاء فينشام عدوا وهو يتسائل :

— ماذا حدث ؟ لماذا توقفت ؟ •

— لقد نفذ ما معنا من ماء •

— اذن فقيم انتظارنا ؟ ماهى الا عشرة كيلو مترات نستطيع
أن نسيرها •

— هذا ليس الحل فقد يكتشف أمرنا اذا سرنا فرادى • والآن
هيا بنا الى عربة المداولة •

توجه ريان وفينشام والقسيس والسائق والوقاد الى العربية
التي كان يرقد بها كلمنت بينما جلس بوشتيك وشتاين وايفانز
يحتسون القهوة •

وبدا ريان حديثه فقال :

— لقد توقف القطار لأن الماء نفذ وليس أمامنا أى وسيلة للنجاء
سوى احضار الماء لأن هذا الوادى ضيق • ويضيق أكثر وأكثر •
ولا نستطيع عبور الجبال • والساعة الآن الثالثة صباحا وقد يشرق
الفجر وأنتم فى العراء فيكتشف أمركم فورا • ومن ثم سآخذ
القسيس معى وأحاول احضار ماء كاف • أما شتاين فسوف يتجه
نصف ميل الى الشمال وبوشتيك نصف ميل الى الجنوب وعليهما
أن يشيرا الى أى قطار يريانه قادمنا تجاهنا • • ويوقفاه قبل أن يصطدم

يقفنا لالخط هنا كما تعلمون واحد • اما فينشام فعليه أن يفتح أبواب العربات • فاذا لم أعد آقا أو القسيس في مدى ساعة أو علم فينشام من بوشتيك أو شتين باقتراب قطار أو مسمع من هانك انه تلقى رسالة لاسلكية تفيد بالبحث عننا فعليه بأمر الأسرى والهريب • بوشتيك هل أعتمد عليك هذه المرة ؟

— نعم يا سيدى •

— حسنا • أية أسئلة أخرى ؟

ورد فينشام وهو يمد له يده :

— كلا • تصحبك السلامة •

نزل ريان والقسيس من العربة وبدأ يسيران بسرعة • وفجأة ظهر لهما شبح يرتدى الملابس المدنية الإيطالية وسألهما عن سبب وجودهما هنا هل هناك شيء يستطيع القيام به لخدمة أصدقائه الألمان •

وتردد القسيس وقال ريان باللغة الانجليزية وبصوت مسموع

— إبت قل له أن يبتعد عن طريقنا والا قتلناه •

وسمع الرجل الحديث فضحك وقال انتم لستم ألمان •

ورد القسيس :

— نعم نحن بريطانيون وأمريكيون •

واحتضنه الرجل مصافحا وقال :

— أصدقاء ••• أنتم أصدقاء •••

ورغم مرض ريان الجزئي الا أنه انتظر أن يترجم له القسيس

كلمات الرجل السريعة المتلاحقة •

واخيرا قال له القسيس :

— انهم فرقة من المقاومة الشعبية • وقد حاولوا نسف قنطرة

ليكو ولكنهم لحسن حظنا فشلوا • وقد أخبرته بمشاكلتنا فقال انه

سيرسل بعض تابعيه ليحاولوا سرقة عربة ماء من إسوفندريز •

وهنا قال ريان :

« حسنا ... دعه يتبعنا الى القطار فانا اريد ان اطمئن القوم
هناك »

وفي القطار شرح له القسيس كل ما حدث وسأله بناء علي رغبة
ريان عن أى طريق آخر يمكنهم سلوكه اذا ما تأخر الماء . ولكن
الرجل قال ان انتظار الماء هو الوسيلة الوحيدة فهو يعرف هسدم
المنطقة جيدا . فالسير فيها مضمّن لانها وعرة وليس بجبالها مسالك
معروفة . أما الاتجاه شمالا فبعد مسافة كيلو متر واحد يضيق
الوادي بحيث يصبح مجرد شريط للسكة الحديد . والجنوب خطر
فهناك ينتشر الألمان .

وهنا قاطعهم هاينك قائلا :

« لقد أبلشت فيرونا القيادة العسكرية في روما بعدم وصولنا
وقد بدؤوا في البحث عنا فما العمل ؟ »

« لا شيء الآن كل ما هنالك أن ننتظر وتواصل أنت تتبع
وسائلهم اللاسلكية ثم هناك شيء آخر ، علينا بالتخلص من الجثث
لمن غير المعقول أن ندخل بلدا محايدا ونحن نحمل عشرين جثة »
« كان واضحا ان ريان يحاول رفع الروح المعنوية لمن معه »
وسأله شتاين :

« وماذا عن كلمنت ؟ »

« سنقذف به من القطار قبل أن نصل الحدود »

وارتعد كلمنت لذكر اسمه ولكن القسيس ترجم له قول ريان
بانهم سيقدفون به حيا . ولكنه بدأ يرحبهم أن يأخذوا كل متاعه
ويأخذوه معهم ولكن ريان رفض قائلا :

« ان هذا المتاع سيصبح ملكا للايطالي الصديق ، سيأخذهم كله
وكيفافق له علي احضاره الماء »

بعد لحظات سمعت أصوات عربية ونظر ريان من النافذة فافلا
به يرى أصدقاء الإيطالي يجرون عربية مليئة بالماء »

اقترب القسيس من ريان وقال :

« لقد استجاب الله لدعائنا » .

« أبت قل لهم أن يسرعوا ولا يملثوا كل الحزان بل ما يكتفي
لتعبر الحدود فليس أمامنا سوى أقل من ساعتين قبل بزوغ الفجر »

وترجم القسيس الأوامر ثم قال لريان :

« يقولون ان تسيير القطار ثانية قد يستغرق ساعة » .

الفصل الرابع والعشرون

توجه ريان الى عربى القيادة فوجد شتاين وايفانز قد بدلا
ملايسهما أما هاينك فقد كان يجلس الى جهاز اللاسلكى وحين رأى
ريان قال منفعلا :

- لقد اكتشفوا ان الأوامر التى كانت تصدر اليها مزورة وقد
بدأوا فى البحث عنا فيما بين برجامو وكارنات .

- هذا يعنى انهم على بعد ثلاثين كيلو متر منا وقد يصلون
اليها فى أقل من نصف ساعة . ليس أمامنا سوى أن نساعد
الايطاليين ليتم ملء الحزان فى أقل من نصف ساعة .

أخذ ريان بعض الأسرى وبدأ يساعد فى العمل وحين ملئ
الحزان كانت خمس وثلاثون دقيقة قد مرت . وبدأ القطار سيره
ونزل الايطاليون بعد ان حملوا معهم كل متاع كلمنت وشكروا
ودعوات ريان وأصدقائه مع وعد صادق منهم بأن يقدفوا لهم
جهاز اللاسلكى قبل نقطة الحدود بكيло متر واحد . ذلك ان ريان
صرح لهم انه لا يستطيع الاستغناء عن الجهاز الا فى آخر لحظة ١٠

حين عاد ريان الى القاطرة وجد وجه القسيس ممتعا فساله :
- ماذا حدث ؟

- لقد ... لقد اختفى عامل الوقود وأخشى أن يكون فى طريقه
الآن لا بلاغ السلطات .

• ليس هذا وقت تقديم الأعذار فلا أعتقد أنه سيصل اليهم قبل اجتيازنا الحدود ولكن المشكلة الآن هي الوقود • سأقوم أنا بعمله على أن تحسن أنت مراقبة السائق هذه المرة •

وفي عربة القيادة كان شتاين وبوشتيك قد ربطا جهاز اللاسلكي ببعض البطاطين ورميا للصديق الايطالي •
واقترب القطار من تيرانو وأبطأ في سيره ثم فجأة أسرع مرة واحدة وبدأ ناظر المحطة يصرخ :

• قف قف •

• ولكن صراخه ذهب ادراج الرياح واستمر القطار في سيره السريع •

وريان يقف بمسدسه مشهرا في ظهر السائق •

وبدأ ناظر المحطة يطلق الرصاص وبعض الصواريخ المحرقة في محاولة يائسة لاييقاف القطار •

واستمر القطار مندفعاً حتى عبر الحدود • وأمر ريان السائق بالتوقف وفتحت أبواب العربات وانساب الاسرى يصرخون ويهللون ويمناقون بعضهم البعض بل وركع بعضهم على الأرض يقبلها •

أما ريان فقد داعب النوم عينيه • ولكنه لم يستطع النوم فقد اقتربت منه مجموعة من الاسرى الفرحان وحملوه وأخذوا يهتفون باسمه •

وبدأت أضواء الفجر تفسى المكان وصرخ بوشتيك •

• ريان ، لقد فعلتها ، لقد نجحت •

• لعله من حسن حظي اننى لم أقض عليك في تلك المباراة •

وحين توجه الركب حتى آخر القطار وجد ريان لافتة كسيرة مكتب عليها •

« قطار فون ريان السريع »

لايتسم

وقال القسيس معلقا :

— لقد ابتسم فون ريان ، اليس ذلك غريبا ؟

ضحك الأسرى بالضحك ولكنهم كفوا اذ قال ريان :

— لقد قذرتم. هذا المكان جدا وأمامكم خمس دقائق لتعيدوا اليه
نظامه ونظافته .. هيا ..

» نمت «

الذلة القومية للطبائفة والنشئة

الدراسات القومية للطباعة والنشر

كزلهجتماع الثقافي

في العالم العربي
من القاهرة

يصدر عنها

روايات عالمية الكتاب الماسي

مناهج مختلفة من الشرق والغرب كتب سبيل

كتب قومية في البحر الع

اختراعات الجندى اختراعات الطال

دراسات إثنائية رسائل ماس

مكتبات الدار

نيويورك

لندن

الجزائر

بيروت

طرابلس

بغداد

البحرطوم

الاسكندرية

القاهرة

مجلة الإزاحة والتدوين

مجلة بنار الوطن

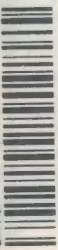
ARAB
OBSERVER

L'OBSERVATEUR
ARABE

The Scribe
ARAB REVIEW

3.54
291

ISBIBIOTHECA ALEXANDRINA



0540418

Le Scribe
REVUE ARABE

El Escriba
REVISTA ARABE

Der Scribe
ARABISCHE ZEITSCHRIFT